أدب الربيع العربي في ظل الثورات العربية

الإبداع كان دائماً يمثل إرهاصاً للثورات في العالم. فالثورة الإنجليزية سبقتها كتابات عدد من المفكرين، وكذلك الثورة الفرنسية اندلعت بعد أن ظهرت أعمال كتاب كبار مثل جان جاك روسو وفولتير ومونتسكيو وغيرهم، حتى ثورة 1952 في مصر فقد مهد لها أعمال أدبية مثل (شجرة البؤس)، و(المعذبون في الأرض)، و(ما وراء النهر) للدكتور طه حسين، و(عودة الروح)، و(يوميات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم، و(القاهرة الجديدة)، و(زقاق المدق)، و(بداية ونهاية) لنجيب محفوظ، بالإضافة إلى كتيبات أخرى لسعد مكاوي وعبد الرحمن الخميسي فضلاً عن القصائد الملهمة التي أبدعها أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ثم علي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وكامل الشناوي وغيرهم وكلها أعمال حرصت على فضح الواقع ومثل ذلك حدث في البلاد العربية يتصدر المشهد في بيت أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر

وقول شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وأدب الثورة الحقيقي الذي ينبغي أن يحظى بالتقييم والاهتمام هو أدب ما قبل الثورة الذي جاء نتيجة إحساس الكتاب والشعراء بالظلم والاستبداد فقد احتكرت أنظمة الحكم في الدول التي شهدت ثورات الربيع العربي وأنصارها السلطة وفشلت هذه الدول في تحقيق نهضة في التعليم والثقافة والتكنولوجيا إلى جانب غياب الحريات لسنوات طويلة حتى قال الأديب المصري يوسف إدريس «أن كل مساحات الحرية في العالم العربي لا تكفي كاتباً واحداً».

لكن لو عدنا إلى ربيع براغ؛ حيث قدم لنا ميلان كونديرا بأسلوبه الاستفزازي والمتكبر، وبلغته البلاستيكية، مجموعة من النصوص التي صورت تلك الانتفاضة بما أمكنه من الهزل، وبكل عيوب النكتة السوداء.

وقل نفس الشيء عن عصر ذوبان الجليد في عموم الاتحاد السوفياتي، لقد واكبت تلك الحركة نصوص نفخت عليها الدعاية الغربية، وقدمتها بأبدع الصور، مع أنها بكل المقاييس لا ترقى إلى الصور البريئة والعفوية، وإلى الخيال الفطري والأخاذ الذي انتقد به جورج أورويل (وهذا على سبيل الذكر فقط) المجتمع الشمولي والربوي، والذي لئن لم يضع شعوبه في قمقم العسكر، فقد وضعهم تحت وصاية حكومات وأنظمة لا تعرف غير اختراع أدوات مخصصة للهيمنة والتوسع.

أضف لذلك ما يسميه فوكو بالرقابة الدائمة، وهو تعريف معاصر ومهذب لأسلوب محاكم التفتيش نفسها.

وكان أدبيات الربيع العربي الذي يتحرك في الشارع والمعبر عن ربيعه (العربي) الخاص، وغالبا بنسخته الشعبوية التي ترتدي عباءة الإسلام والفضيلة والأخلاق.

وأقصد بذلك الصور والعبارات المكتوبة على اللافتات والجدران، ومعها الأهازيج والأشعار التي ترافق معظم المظاهرات.

إن هذه (الأدبيات) التي تعبر عن المكبوت وعن قوة إرادة الاحتجاج والحنق والغضب، تشبه ما قدمه لنا عصر الانحطاط العربي في السير الشعبية.

لكن أدب الثورات العربية لم يتناول أعمالاً أدبية بل أدب يتحدث عن شخصية الدكتاتور.. الوضع العربي العام.. الفقر.. السجون.. وكل الممارسات السابقة للنظام الذي أسقط أو يحاول الثوار إسقاطه، وكذلك هناك أدب الثورة له رؤية للمستقبل الذي ينتظر الأمة العربية، بناء على هذه الأوضاع، لكن تجد عملاً يجسد الربيع العربي.

والفكرة موجودة لدى جيل كامل من المبدعين والكتّاب والشباب الذين يعايشون هذه اللحظات التي تمر بهم، ولكن ما تناوله هؤلاء في كتبهم التي صدرت حتى هذه الساعة، أغلبها عبارة عن تدوينات يومية لما عاشه هؤلاء أيام الثورة، كالتونسيين والمصريين ولكنها مجرد يوميات تتحدث عمّا كان يحدث أثناء فترة أي ثورة، وهي في الغالب يوميات يطغى عليها الطابع الذاتي والرؤية الذاتية للأمور، المختصون في الأصناف الأدبية الواسعة يعتبرون هذه التدوينات أو الإصدارات التي كتبت وخرجت للعلن، جزء من الثقافة العامة ولكن لا يصنفونها ضمن الرواية الجادة، ربما هي تدخل في المفهوم العام للأدب لأنها تشبه المذكرات والسيرة الذاتية لكن الأدب بالمعنى الكلاسيكي لا زالت بعيدة عنها، ولكن يمكن لهذه الإصدارات أن تتحول في الفترة الماضية بعد الاشتغال الجيد والكبير عليها من أن تكون ضمن أحد الأصناف الأدبية، لأن الكتابة الأدبية عادّة لا تكون آنية وتحتاج إلى التريث في والاستشراف وتدوين كل الأحداث المحيطة بهذه القضية، ووصف للأحداث الواقعة في ميدان التحرير.



من ثورة يناير 2011 بمصر

لكن هذا لا يعني أنه من الصعب تصنيف هذه الكتب ضمن الأدب وليس الأدب الإستعجالي الذي أصبح يطلق مؤخراً بكثرة في الأوساط الأدبية، والتاريخ يحتفظ لنا بالنص الموسوم بـ(الدون الهادئ)، لميخائيل شولوخوف الذي كتبه إبّان الحرب العالمية الثانية وكتبه في خضم أحداث الحرب، وأصبحت مرجع ثقافي وتاريخي لتلك الأحداث، وهناك أيضاً كتابات نجيب محفوظ التي عاشتها مصر في عهده، ولكن التقييم الأدبي بين تلك الأعمال وما يكتب اليوم عن ربيع الثورات العربية مختلف، فالكثير من النصوص الأدبية لا تتحدد بالفترة الزمنية، ولكن تتحدد بالقيمة الأدبية، ورؤية الكاتب نفسه.

لكن نستطيع أن نصنف ما كتب عن الثورات العربية ضمن ما يطلق عليه بالأدب الإستعجالي لأنه أدب ساخن وهو نتاج حالة سريعة، لذا أغلب الكتابات التي تصدر أثناء الثورات العربية هي كتابات انطباعية تستلهم قصصها ونصوصها من أجواء ما يحدث وما يعاش على أرض الواقع، إلا أن الكتابات الأكثر عمق ربما ستكون بعد سنوات بالإضافة إلى أن أغلب المحاولات جاءت على يد الشباب لأنهم شهود هذه المرحلة وهم بذلك يقدمون شهاداتهم الحقيقية لا غير، لكن هذه الكتابات هي نوع من الأدب أو بالأحرى هي كتابات مرحلة مثلها مثل الكتابات التي ظهرت أيام الحرب الأهلية في لبنان أو الكتابات التي تفاعلت مع سقوط جدار برلين وهي نصوص يمكن أن نقرأ من خلالها الحدث في زمانه، كما لم يخض في هذا الانفعال الثقافي وبشكل معمق كبار الأدباء الذين هم ربما بصدد التحضير لأعمال أدبية تفرغ الربيع العربي من خباياه وتعطيه بعداً أدبياً أوسع

من أدب الثورة:

في مصر على غرار رواية هشام الخشن (7 أيام في التحرير)، ورواية (وردة الحلم) لأسماء الطنان و(الكاميليا والرمان) لعمرو عبد السميع و(شمس تشرق مرتين) للكاتبة زينب عفيفى ومجموعة قصصية (ميلاد في التحرير) لفؤاد قنديل، ورواية (مسيح بلا توراة) للكاتب المصرى أسامة الحبشى التي صدرت في القاهرة وتتناول شخصية محمد البوعزيزى مفجر الثورة التونسية.

والأعمال الأدبية الصادرة في تونس كرواية (الغوريلا) لكمال الرياحى و(كريستال) لجلبار النقاش و(الحبس كذاب والحي يروح) لفتحى بن الحاج يحيى و(مناضل رغم أنفه) .. كما صدرت في فرنسا وايطاليا وألمانيا في وقت واحد رواية للكاتب المغربي الطاهر بن جلون (بالنار) عن ثورة تونس أيضاً، وفى اليمن ولا تزال الثورة متأججة من أجل انتزاع الحرية خرجت إلى النور رواية (دملان) لحبيب عبد الرب السروري وعلى وشك الصدور (زوج حذاء لعائشة) لنبيلة الزبير.

في الربيع العربي تراجع ملحوظ في الأعمال الأدبية.. والغلبة للأعمال السياسية والفكرية

لم يكن هذا العام كغيره من الأعوام السابقة، بل والعقود الفائتة، برماديتها ومواتها، فهو عام الشعوب العربية التي توّجت نضالها بإسقاط أنظمة حكمها الفاسدة، ولم تزل شعوب الدول الأخرى تواصل هذا النضال؛ في سبيل إعلاء كلمة ورغبة الشعب وحده.

وفي نظرة سريعة على سمات ما أصدرته دور النشر العربية، في ظل هذه الظروف، نجد تراجعاً ملحوظاً في الأعمال الأدبية، سواء الرواية أو القصة أو الشعر، وتصدرت المشهد الثقافي أعمال سياسية وفكرية دارت حول الثورات وتأصيلها، وحول الحركات السياسية والدينية منها على وجه الخصوص، بما أنها من أكبر المستفيدين من هذه الثورات، رغم ترددها في المشاركة بها في بادئ الأمر! كشف التيارات الدينية والفساد السياسي.

توالت الإصدارات التي تكشف وتناقش فكر الجماعات الدينية، منها على سبيل المثال كتاب (الحالة السلفية المعاصرة في مصر) لأحمد زغلول شلاطة، يليه كتاب حلمي النمنم (حسن البنا الذي لا يعرفه أحد)، ثم (دليل الحركات الإسلامية المصرية) لعبد المنعم منيب، ثم (الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة) في أربعة أجزاء لأسامة شحاتة. و(الدين والدولة الطائفية) للدكتور نبيل عبد الفتاح، و(الإسلام وعلمانية الدولة) للدكتور عبد الله النعيم. إضافة إلى بعض الكتب الممنوعة في عهد الرئيس السابق مبارك، منها على وجه الخصوص مؤلفات الكاتب الصحافي المعارض عبد الحليم قنديل، مثل: (الرئيس البديل) و(كارت أحمر للرئيس).

وفي الاقتصاد والتحليل الاجتماعي، ظهرت بعض المؤلفات، مثل: (مصر والمصريون في عهد مبارك) لجلال أمين، و(اقتصاديات الفساد) لعبد الخالق فاروق، الذي يتناول قضية كيف جرى إفساد مصر والمصريين على مدى العقود الأربعة الماضية، بدءاً من عام 1974 حتى 2010.

كتب أثارت جدلاً:

كما صدرت بعض المؤلفات التي أثارت الكثير من الجدل، والتي طالب البعض بمنعها والقصاص من مؤلفيها! فكتاب مثل (نبي من بلاد السودان: قراءة مغايرة لقصة موسى وفرعون)، للمفكر السوداني والوزير الأسبق الشيخ النيل أبوقرون، أثار جدلاً كبيراً، حتى تمّت المطالبة بمنع كتب المؤلف وحرقها ومحاكمته.

وقال أبوقرون في كتابه إن لقب فرعون لا يعني أنه مصري، بل كان يُطلق على بعض حكام مصر، مثل لقب قيصر الروماني، وأن بعض هؤلاء الفراعنة من النوبة أو ينتمون لمملكة (كوش) التي تقع حالياً شمال السودان. كما صدر للمؤلف الشاب المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين أسامة درة كتاب أثار جدلاً بعنوان (من داخل الإخوان.. أتكلم)، وقد هاجم فيه غياب الديموقراطية عن قرارات جماعة الإخوان، وانتقد استخدام شعار(الإسلام هو الحل) في العمل السياسي، وللمؤلف نفسه صدر كتاب أخيراً بعنوان (من الإخوان إلى التحرير)، انتقد خلاله ردود فعل جماعة الإخوان البطيئة حيال ثورة الشعب المصري، وانتقد حزب الحرية والعدالة، الذي لا ينفصل في سياساته عن الجماعة في شيء. وفي ما يخص البطش الأمني والتعذيب، صدر عن الدار العربية للعلوم كتاب بعنوان (ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي) للمناضل الفلسطيني مروان البرغوثي، ومن المعتقلات التي يصفها البرغوثي معتقل (المسكوبية)، والذي يُعرف بين الأسرى باسم (المسلخ)، حيث يمارس فيه الضباط الصهاينة أبشع عمليات التعذيب والانتهاكات الإنسانية، ومضى فيه البرغوثي أربعة أشهر عقب اعتقاله عام 2002. كما شهدت تونس صدور أول رواية تتناول تعذيب المساجين الإسلاميين والسياسيين في السجون التونسية بقلم سمير ساسي تحت عنوان (برج الرومي: أبواب الموت)، وهو اسم البرج الذي يُعد أشهر السجون التونسية وأسوأها سمعة؛ نظراً لما يمارس فيه من تعذيب وتجاوزات لا إنسانية بشعة.

الربيع العربي يرفع شعبية مواقع التواصل الاجتماعي

أظهر تقرير (توقعات الإعلام العربي) الذي صدر بالتعاون مع (ديلويت) المتخصصة بالدراسات ازدياد شعبية مواقع التواصل الاجتماعي بسبب الربيع العربي. إذ شهد موقع فيسبوك وحده ارتفاعاً ملحوظاً بنسبة 80 % في عدد مستخدميه في العالم العربي في العام 2011.

ويستكشف التقرير تأثير (الانتفاضات السياسية) على النمو غير الاعتيادي لمواقع التواصل الاجتماعي في المنطقة، «ويحلّل ما إذا أسهمت هذه المواقع في إحداث التغيرات السياسية الحالية».

وينسب التقرير إلى دراسة للسوق أجريت في أربع دول عربية أساسية، «أنّ 87 % من الجمهور يعتقد أنّ مواقع التواصل الاجتماعي، على غرار فيسبوك، قد لعبت دوراً أساسياً في التحريض على التطورات السياسية التي تشهدها المنطقة».

وخلص التقرير إلى أنّ استخدام فيسبوك سجّل أرقاماً عالية في معظم الدول العربية «وما زال المجال مفتوحاً أمام مشاركة المرأة مثلاً التي ما تزال منخفضة نسبياً في بعض الدول كمصر التي أضافت وحدها ما يقارب المليوني مستخدم جديد للموقع في الربع الأول من العام 2011».

ويشير التقرير إلى أنّ أكثر من 90 % من مستخدمي الإنترنت في الإمارات العربية المتحدة متواجدون على مواقع تواصل اجتماعي مثل فيسبوك.

وأضاف التقرير إنّ وتيرة الاستخدام ازدادت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة حيث يزور نحو 65 % من هؤلاء المستخدمين مواقع التواصل الاجتماعي أكثر من مرّة في النهار في الإمارات والسعودية.

وقال التقرير إنه من «البديهي أن تستأثر النسخة العربية لموقع فيسبوك بحصّة الأسد مع استخدام حوالي 90 % من المشاركين في السعودية، لها».

ويقول التقرير إن المنصّة الرقمية لسوق الإعلانات «أسرع المنصّات نمواً في المنطقة وقد استحوذت على حصة 4 % من كامل الإنفاق الإعلاني في العام 2011».

وتوقع أن تشهد المنصة «نمواً سنوياً متراكماً بنسبة 35 % بين العامين 2011 و2015 لتحقّق أرباحاً تقارب 580 مليون دولار في المنطقة».

«وبهذا تشكّل ما يقارب 10 % من كامل مجموع الإنفاق الإعلاني بحلول العام 2015».

ويشير التقرير إلى أنّ التقدير المركزي لإجمالي الإيرادات الناجمة عن نشاطات فيسبوك يصل إلى 32 مليار يورو وهي تترجم بما مقداره 15.3 مليار يورو من الفرص الاقتصادية وخلق نحو 232 ألف وظيفة.

بالإضافة إلى ذلك يقول التقرير إنّ «المنصّات الرقمية تتمتّع بقدرات نموّ مميّزة في المنطقة بالنظر إلى معدّلات السكان (أكثر من 50 % من السكان تحت الخامسة والعشرين من العمر مثلاً)، والإقبال القوي على الهواتف الذكية واللوحات الإلكترونية».

المصدر:
http://www.albayan.ae/economy/last-deal/2012-30-06-1.1678841

تسونامي الربيع العربي و«جمهورية الفيس بوك»

في أواخر عام 2010 ومطلع 2011 اندلعت موجة عارمة من الثورات والاحتجاجات في مُختلف أنحاء الوطن العربي بدأت بمحمد البوعزيزي والثورة التونسية التي أطلقت وتيرة الشرارة في كثير من الأقطار العربية وعرفت تلك الفترة بربيع الثورات العربية. وكانت من أسباب هذه الاحتجاجات المفاجئة انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المَعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ وسوء الأوضاع عموماً في البلاد العربية. حيث انتشرت هذه الاحتجاجات بسرعة كبيرة في أغلب البلدان العربية، وتميزت هذه الثورات بظهور هتاف عربيّ أصبح شهيراً في كل الدول العربية وهو: (الشعب يريد إسقاط النظام).

ولم تكن ثورات الربيع العربي إلا رد فعل للأوضاع المتردية التي عانى منها المواطن العربي خلال قرون من الزمن، فأنظمتها السياسية، تقمع مجتمعاتها، وتختزلها بالحاكم الواحد، وتقيد حرياتها وتكتم أفواهها، وتنبذ الديموقراطية وحق الاتصال والتعبير، وتمنع مشاركتها في صنع القرارات والتعبير، وبطالة قاتلة، وشباب مهمشون وضائعون، وفساد ورشى تستشري في مؤسساتها، وأنظمة تعليمية تقليديّة تجتر معلومات الأمس، وتهمل العصر وتقتل ثقافة الأمة ولغتها، وأنظمة إعلاميّة عربيّة تبحث عن الترفيه، وتسطح الفكر والحياة، وتكون أداة لتخريب ذوق المواطن.

في واقع الأمر، فإن الشباب العربي يعيش في مأزق ما يسمى بالتغيير، وقد لخصه أحد الباحثين العرب بمجموعة من الظواهر السلبية التي تتعلق بالمحيط الاجتماعي، وبمناخ الواقع الذي تسوده جملة من القيم الرديئة والتناقض الثقافي والفوضى الاقتصادية والفقر والفساد الإداري ومظاهر الاستغلال والتسلط والانحراف بكل صوره وأشكاله وأنواعه. إذ يبدو معقولاً أن نقول: إن الشباب يعانون من إرهاب اجتماعي متمثل في الظلم الاجتماعي، وإرهاب عدلي متمثل في ضياع الحقوق وعدم تكافؤ الفرص. وهناك التناقض الصارخ في مكونات وقواعد الدليل الثقافي عبر تربية الأسرة وتوجيهها، وتربية المدرسة وتوجيهها، وتربية وسائل الإعلام وتوجيهها، ما يخلق آثاراً بالغة التناقض على يقين الشباب والتزامه الأخلاقي، وبالتالي هروبه (إلى اليقين الأكبر)، ربما ليس عن اقتناع كامل بل كرد فعل وملاذ ملجأ للتخلص من القلق والتوتر والمعاناة . فالشباب عندما ينظر حوله تبدو الصورة كئيبة من خلال البطالة والتمزق والفقر، وانعدام أو غياب العدل، فتمتلئ الصدور بالحقد والغضب والرغبة في تدمير كل ما هو قائم، وعند هذه النقطة تكون النفوس جاهزة لمسلسل الغضب والثورة .

عصر التواصل الاجتماعي

تاريخياً، لم تكن معركة الإعلام الجديد مرتبطة بالربيع العربي، فقد كانت تجربتها الأولى في العام 1999 بيوغسلافيا (صربيا والجبل الأسود) ضد نظام ميلوسوفيتش من خلال قوة المدونين في الإعلام الالكتروني، حيث استطاع هذا الإعلام أن يقوم بثورة فعلية وينجح في قلب نظام حكم الدكتاتور في صربيا ويستطيع تغيير النظام الدكتاتوري،



شكل ميدان التحرير بالقاهرة نقطة تحول في ثورة 25 يناير بمصر حيث كان التواصل عبر الإعلام الجديد

مثلما حدث في جورجيا من خلال معركة المدونين والرسائل القصيرة في عملية التغيير السلمي وتغيير النظام من خلال مظاهرات شعبية سيطرت على الشوارع وأدت إلى التغيير السلمي، كما شهدت أوكرانيا وميدانها الشهير كييف عام 2004 قوة الهاتف الجوال بأدواته الأساسية الصور والرسائل النصية في تأجيج حركة احتجاجات واسعة سيطرت على الحياة العامة، ونصب الخيام في ساحة الميدان التي أصبحت أشهر من تاريخ الدولة كلها، وعندها عرفت حراك الاحتجاجات بثورة البرتقال الاعتراضي التي أجبرت الدولة على إعادة الانتخابات للمرة الثالثة وفوز فريق المعارضة البرتقالية وتشكيل حكومة ورئيس معارض جديد.

لكن المثير في الربيع العربي أنها أخذت بعداً أكثر وضوحاً، وشيوعاً في الأساليب الإعلامية، وسرعة في الأحداث والوقائع، ولختلف دور واستخدام إعلام التواصل الاجتماعي عن الإعلام العادي في ثورات الربيع العربي بين بلد وآخر حسب قوة استخدامه ودور القوى الشبابية لهذا الاستخدام، بظل مجتمعات تعتبر نظرياً متخلفة بالتكنولوجيا والتقنية مقارنة مع الغرب، لكنها كانت مقبولة.

والربيع العربي، تعبير أطلق على الثورات العربية التي استعرت نارها وانتشرت من المحيط إلى الخليج، هذه الثورات لم تكن ثورات عادية كالتي حصلت في أوائل القرن الماضي، وما يميزها هو استخدام العالم الافتراضي لإصلاح العالم الحقيقي الذي كان عرضة للسخرية من الجميع.

وقد وجد الشباب العربي متنفسهم في المدونات فكتبوا، وآخرون وجدوا متنفسهم في الفيديو، واكتشفوا جميعاً أن همهم واحد فكان اللقاء الرقمي في جمهوريتهم الافتراضية الجديدة (جمهورية الفيسبوك) بعيداً عن الاجتماعات الخفية في الغرف السرية، وتوزيع المنشورات في جنح الليل، حيث نجحت ثورات تونس ومصر وليبيا وآخرها كانت اليمن، وكان هذا التعبير أصدق تلخيص لإسهام الإعلام الجديد في تسونامي الاحتجاجات العربية التي ما زالت تهز العالم العربي حتى الوقت الحاضر، بعد أن أطاحت نظماً سلطوية.

إن اللغة الإعلامية في إعلام التواصل الاجتماعي هي لغة الجماهير العادية التي هي بنفسها تحدد وتختار الرموز والإشارات التي تتطابق مع تلك التي يختزنها المتلقي في الإطار الدلالي (المخزون المعرفي)، وهي التي ولدت ونمت في رحم وسائل الاتصال الجماهيري التي أنتجت خطاباً ولغة خاصة لا تنفصل عن الزمان والمكان الاجتماعي والإنساني، لذلك كان لها تأثير واسع في الشوارع التي تلقت خطاب هذه الوسائل وسارعت لتبني هذه اللغة وذلك الخطاب القصير والواضح، ومع ذلك لا تزال تجربة الإعلام الحر في دول الربيع العربي تجربة جديدة تتلمس طريقها بعد سقوط الأنظمة الدكتاتورية التي كانت تسيطر على الإعلام وتفرض عليه سطوتها، ذلك إن مستقبل الإعلام الحر مرهون بنجاح الثورات في العالم العربي، والإعلاميون في أغلبيتهم ينحازون للحرية وبالتالي ينحازون للثورة، وهذا يشكل ضمانة لحرية الصحافة في مجتمعاتنا، فهل وصلت رياح الربيع العربي إلى الإعلام؟

هناك أكثر من اتجاه، وأكثر من رؤية، تلتقي وتتباعد، بعضها يقول:

- إن الإعلام غيّر أدواته ولن يعود كما كان عليه في السابق خاصة أن الشارع العربي كان يتعامل مع إعلام رسمي، ولكن في الربيع العربي فإن الجماهير قالت كلمتها.

- ليس من السهل العودة إلى الوراء، لكننا سنشهد موجة من التطرف الإعلامي والرهان الأكبر والأساسي هو على الإعلام البديل الذي من الممكن أن نطلق عليه انه إعلام الفقراء والإعلام المتحرر الذي جلب له الملايين والذي يعبر المواطن من خلاله دون المرور بمقص الرقيب، وسيلعب دوراً حاسماً بعيداً عن سطوة سلطة المال، ولكن يبقى السؤال عن الأجندات السياسية التي قد تلعب وتسيطر على هذا الإعلام.

- إن الثورات العربية سيكون لها الدور الحاسم في تحرير الإعلام العربي من القيود التي عانى منها منذ عقود طويلة، لكن الثورات سيزداد تأثيرها تدريجيا ولكن حرية الإعلام لا تتحقق بإزالة القيود المفروضة عليها، فالثورات قد تحرر الإعلام ولكنها لا تضمن إعلاماً حراً حقيقياً.

- إن الثورات قد فتحت الباب لإزالة القيود، وممارسة الحرية السياسية تحتاج لمقومات، فكذلك الحال بالنسبة إلى الإعلام. - إن المنافسة بين وسائل الإعلام التقليدية ووسائل الإعلام الجديدة تميل لمصلحة وسائل الإعلام الاجتماعية والمواطنين الصحافيين، ولم يعد بإمكان وسائل الإعلام التقليدية تجاهل المواطنين الصحافيين، ولا مقاطع فيديو (الهواة) على يوتيوب، أو أي معلومات أخرى تتدفق عبر وسائل الإعلام الاجتماعية، بل إن معظم الصحافيين التقليديين المحترفين يستخدمون وسائل الإعلام الاجتماعية للتواصل مع جمهورهم بطرق جديدة.

- أصبحت وسائل الإعلام الاجتماعية وسيلة قوية للدفاع عن حرية الصحافة، وعن الحريات عامة، مثلما أصبحت تمثل السلطة الخامسة حيث عجزت وسائل الإعلام التقليدية عن لعب دورها، والبعض

الآخر يرى أن الإعلام التقليدي لا يمكن إلغاء دوره لأنه مازال يعيش في بيئة تقليدية مرتبطة بقوة الماضي، وسيطرة الحكومات، وباختصار يمكن اختصار الأفكار:

- نجح الإعلام التقليدي بشكل واضح في توظيف وسائل الاتصال الجديدة في خدمة مؤسساته، لذلك فإن شكل الإعلام الجديد مستقبلاً سيتغير جذرياً مع قدرة مستخدميه على قلب الموازنة والتعدي على قامات الإعلام التقليدي، الذي ما زال يمتلك القدرة والشهرة والخبرة.
- يظل الإعلام الجديد اليوم متأثراً بشكل كبير من قبل رجالات الإعلام التقليدي، إن جل المستخدمين المؤثرين في (تويتر) هم كتاب الصحف التقليدية والعاملون في القنوات الإخبارية، مع بعض الاستثناءات، ويتحرك الرأي العام في تويتر بناءً على ما يكتبه المستخدمون أصحاب المواهب في الصحف ومقدمو البرامج الحوارية، وما زالوا هم المتربعين على عرش الإعلام الجديد.

✦ هناك مبالغة كبيرة في دور الإعلام الجديد في التأثير في العملية السياسية في العالم العربي.

✦ لا يزال دور الحكومات العربية في الإعلام الجديد غامضاً، قد يؤدي الوجود الحكومي في مواقع التواصل الاجتماعي إلى تغيير شكل المداولات السياسية، ففي المستقبل القريب، إذا كان هناك توظيف مثالي لوسائل الإعلام الجديد من قبل الحكومات العربية فسيكون هناك وجه آخر مختلف تماماً للإعلام الجديد عما نعيشه اليوم.

✦ تأسيس المجتمع المدني في العالم العربي سيجر الانتباه من الإعلام الجديد إلى الشارع السياسي الحقيقي، اليوم، نرى تخبطاً كبيراً وانسياباً ملحوظاً وارتجالاً في الطرح في مواقع التواصل الاجتماعي، وفي حال انخراط الناشطين في مؤسسات المجتمع المدني، فإن الطرح السياسي على تويتر وغيره سيصل إلى مرحلة اكبر من النضج الفكري، وسيؤسس المجتمع المدني إلى خطاب سياسي جديد وسيكون له بطبيعة الحال أثر في المداولات القائمة اليوم على مواقع التواصل الاجتماعي .

لكن السؤال الكبير: من صانع الحدث؟ وهل ساعدت وسائل الإعلام المستقلة في إحداث الربيع العربي أم أن الثورة العربية نجحت في تحرير وسائل الإعلام المحلية في العالم العربي؟

وهل وصلت رياح الربيع العربي إلى الإعلام؟

لابد من الإقرار أولاً، بأن الصانع الحقيقي للحدث هو الشباب العربي الذين استحوذوا على الحدث السياسي بكل تفاصيله، مثلما استحوذوا على الحدث الإعلامي وتغطياته المباشرة، لأن قفزات الإعلام الحالية انعكاس لبعض مظاهر الربيع العربي، بدليل أن هذا الإعلام الجديد أسهم هو الآخر في صنع الأحداث وتنشيطها وتثويرها.

وكما قال أحد الاعلاميين فإن أبطال الثورات العربية الحقيقيين هم: البطل الأول محمد بوعزيزي، والثاني مخترع الموبايل، والثالث مخترع تكنولوجيا الـ (فيس بوك) والانترنت إجمالاً، والإعلام العربي كان تابعاً لكل هذا وذاك ولم يكن بطلاً قومياً، لأنه أصلاً لم يتوقع شيئاً مما جرى بسبب انشغالاته في تصميم الشعارات الرنانة التي أتحفنا بها على مدار سنوات طويلة، بدأ من تحرير الأقصى والقدس مروراً بالرقص على أوجاع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، حتى اندلعت النيران خلفه وكأنه يعيش في كوكب آخر .

وفي النهاية فإعلامنا العربي لم يكن ولن يكون قادراً على إحداث التغيير إذا بقي على حالة العبودية التي يعيشها، أو سيكون بحاجة إلى صحافي جريء يدعى بوعزيزي ليدخل على هيئة التحرير ويحرق نفسه داخل أروقة التحرير ليعلن رغبته في التغيير الإعلامي الحالي الذي لا يمكن القول عنه إلا إنه إعلام متخلف وسلطوي .

وبالرغم من النشاط الكبير على الانترنت للشباب العربي، إلا أن التغيير السياسي الحقيقي لم يولد في الانترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الإعلام الجديد مكملاً له ، بمعنى إن دور الإعلام الجديد في الربيع العربي لم يكن يمهد الطريق للشارع، بل كان استكمالاً للدور الأساس الذي لعبه المواطن في الشارع العربي، بدليل أن تعطيل الانترنت كان جوهرياً في زيادة أعداد المتظاهرين في الشارع العربي، وقد خلصت دراسة قام بها مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية أن 53% من المسوحات التي تمت كجزء من الدراسة خلصت إلى أن القنوات الفضائية العربية لعبت دور (المحرض) في الربيع العربي، ورغم ذلك يصر الإعلاميون العرب، وكذلك الفضائيات العربية على أن عملهم معلوماتي يعكس الواقع وأنه ليس لهم دور في تغيير النظام .

ومن دون شك فإن المحطات التلفزيونية الفضائية وكذلك المدونين ونشطاء التواصل الاجتماعي قد أسهموا بالتأكيد في التغييرات التي تواجه العالم العربي، ومع ذلك، فإن تجاهل شجاعة وعزم الملايين من العرب الذين شاركوا في احتجاجات غير مسبوقة فضلاً عن عشرات الآلاف الذين دفعوا حياتهم ومعيشتهم يمثل إهانة شديدة لهم.

وعلى الرغم من النشاط الكبير على الانترنت للشباب العربي، إلا أن التغيير السياسي الحقيقي لم يولد في الانترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الإعلام الجديد مكملاً له، كما إن دور أعضاء مجموعات (فيس بوك) أو المشاركين في (هاشتاغات تويتر) هو في غالب الأحيان رمزي، ولا يتعدى حدود الشكليات، لذلك، فإن النشاط السياسي في الانترنت لا يترجم بالضرورة إلى تغيير أو نشاط سياسي فعلي في الشارع العربي، ففي حالة اليمن، كان



الآلاف من المواطنين اليمنيين خرجوا في مظاهرة ضد الرئيس علي عبدالله صالح في صنعاء

عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي 300 ألف مستخدم، وهو العدد الذي لا يواكب حجم الأحداث في الشارع اليمني. ومع ذلك فإن حشد المتظاهرين وتوجيههم لم يتم بشكل أساس عن طريق الإعلام الجديد، بل تم بشكل أساس عن طريق الوسائل التقليدية. ومع ذلك، لا يمكن لأي أحد، أن ينكر دور الإعلام التقليدي والإعلام الجديد في لعب دور بارز في الثورات العربية، والقول إن الإعلام العربي يعيش ربيعه الخاص وإنه دشن مرحلة جديدة ستفرز إعلاماً جديداً يستجيب لطموحات الشارع العربي ومطالبه.

الوجه الآخر: الخداع الإعلامي

أخذت التغطية الإعلامية لهذه الثورات حيزاً كبيراً من اهتمام الشارع العربي، بين من يرى أن الفضائيات العربية قامت بدورها على أكمل وجه، فرافقت الثورات العربية وأسهمت في إنجاحها، وبين آراء أخرى انتقدت الأداء الإعلامي لكبرى القنوات العربية، واتهمتها بالتحيز وخلق البلبلة والتهييج الإعلامي، وخدمة أجندات خارجية، وغض الطرف عن تغطية تحركات الشارع في دول (صديقة) و(حليفة)، بهدف إجهاض الثورات في هذه البلدان.

والنقاش الحقيقي، كما يرى البعض، هو لماذا تتغنى قنوات فضائية عربية بقيم الموضوعية والمهنية، فتسلط كاميراتها ومراسليها على دول بعينها وتصف قادتها بالدكتاتوريين، بينما يتم التعتيم الإعلامي على ما يجري في دول أخرى .

إن اختلاق أخبار لا يجافي أحياناً الواقع، إلا أن طريقة تقديم وصياغة الأخبار تبرز الكثير من الانحياز، بسبب وجود التقنيات المنتهجة التي باتت تقارب تقنيات الحرب النفسية، على اعتبار أن هناك تفضيلاً لنوعية من الأخبار التي تخدم هدفاً معيناً، في حين يتم التغاضي عن أخبار، أو إحالتها إلى آخر الترتيب من حيث الأولوية والأهمية. وبمعنى آخر تعميق أسلوب التعتيم والتهييج في الخطاب الإعلامي.

ومن الناحية التقنية، تتحجج القنوات الفضائية بنقل صور ومشاهد بالصوت والصورة لمواطنين، كل من بلده، يتحدثون لهجات تونسية ومصرية وليبية وسورية ويمنية، للدلالة على أن الأحداث ليست مفبركة، وإنما وقعت فعلاً ولم تقم القناة سوى ببثها، وأن الصور وصلتها عبر البريد الإلكتروني، بعد تضييق السلطات عليها، وعدم السماح لها بالتصوير.

وتقنياً دائماً، لا ينتبه عادة المشاهدون البسطاء، وعددهم بالملايين، إلى أن التلفزيونات تفرض على نفسها وضع كلمة (أرشيف) كلما تعلق الأمر بصور ومشاهد قديمة، حتى ولو مر على حدوثها أيام فقط.

وهناك أيضاً حيل كثيرة لا ينتبه لها المشاهدون من قبيل إعادة القنوات تكرار بث مشاهد القتل والمظاهرات على مدار الساعة في نشرات الأخبار، حتى يحدث الانطباع لدى المشاهد بأن الاحتجاجات متواصلة، حتى وإن كان الواقع على الأرض مختلفاً. وفي المحصلة يمكن الوقوف على حقيقة أن الفضائيات العربية كغيرها من الفضائيات العالمية لا تنفذ سوى أجندات إخبارية تعكس الأجندات السياسية للدول التي تملكها.

لكن الأهم من كل ذلك هو استخدام الصور من الهواتف النقالة التي تعتبر أخطر شيء في الإعلام التي صفعت الأنظمة من خلال التقاط الصور وإرسالها للوسائل الإعلامية المرئية والالكترونية ويكمن سر صور الجوال بأنها لا تخضع للمونتاج والفوتوشوب كونها تبقى كما هي لا يمكن التلاعب فيها، وبالتالي عجزت الأنظمة عن تكذيبها أو وصفها بالمفبركة، إضافة إلى اليوتيوب الذي كان العامل الثاني في فضح الجرائم، مما دفع وسائل الإعلام المرئي الاعتماد على وسائل الاتصال الاجتماعي المرسلة من الميادين وعرضها من خلال الأفلام المسجلة أو السكيب في العرض المباشر عن طريق الهواتف الذكية، ولهذه الأسباب أضحى الإعلام الجديد في موقع متقدم في تقديم خدمة المعلومات وجذب الأنظار نحو المواقع المختلفة لكي تواكب عرضها الإعلامي في ظل معركة فعلية قائمة بين وسائل الإعلام الاجتماعي الحديثة ووسائل الإعلام المرئية التي بات مصيرها مهدداً فعلياً بوجود قوة منافسة لقوة الإعلام المرئي، فإذا كان الإعلام المرئي لعب دوراً مميزاً على مدار القرن الماضي، وكان دوره فعلاً في التغيرات التي عصفت في العالم في أواخر الثمانينيات منه، وبعد انهيار جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وحرب البلقان .



حريق إثر قتال بين الثوار والنظام الليبي في طرابلس

المصدر: الخليج الإماراتية - ياس خضير البياتي

توزيع جائزة عربية بالترجمة

وزعت في العاصمة الألمانية برلين تسليم جائزة الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولية في الترجمة، في احتفال أقيم بمقر الحكومة المحلية لولاية برلين- جوائز الدورة الخامسة لجائزة خادم الحرمين في الترجمة على الفائزين بها هذا العام، وبلغت قيمة هذه الجائزة 750 ألف ريال سعودي في كل من فروعها الخمسة.

ومنحت الجائزة هذا العام بفرع المؤسسات إلى مؤسسة كلمة للترجمة التابعة لهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث تقديراً لترجمتها 700 مؤلف بـ 12 لغة.

وحجبت الجائزة بفرع العلوم الإنسانية من العربية إلى اللغات الأخرى، ومنحت الجائزة في نفس الفرع من اللغات الأخرى للعربية إلى أربعة مترجمين لكتابين هما (مقدمة في استخلاص الفلزات) و(شبكات الحاسب الآلي).

وفي فرع العلوم الإنسانية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية منحت الجائزة لمترجمين اثنين لكتابي (اللسانيات السريرية) و(آلام العقل الغربي)، وفي نفس الفرع من العربية إلى اللغات الأخرى لستة باحثين أوزبكيين ترجموا كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام إلى اللغة الأوزبكية، وإلى مترجم كتاب (الظل وامتداداته المعرفية والإبداعية) إلى اللغة الفرنسية.

عن الكتابة والاغتراب

أمير تاج السر



اغتراب المبدع عموماً، لا يشبه اغتراب أي شخص عادي، فذلك يدفعه لكتابة نصوص متميزة، وقودها الحنين الكبير لوطن ولد وتربى فيه.

لا شك أن اغتراب المبدع عموماً، خاصة الكاتب، أو هجرته خارج وطنه الأصلي لا يشبه اغتراب أو هجرة أي شخص عادي لا علاقة له بالإبداع، هذا الاغتراب، دائماً ما يغذيه بالحنين إلى الوطن، وقطعاً يدفعه لكتابة نصوص متميزة، وقودها من ذلك الحنين الكبير لوطن ولد وتربى فيه، وعاش فيه أياما حلوة ومرة، قبل أن يفارقه إلى حين، أو إلى الأبد.

هذا الأمر ينطبق على المبدعين الذين يضطرون للهجرة بسبب ظروف اقتصادية أو سياسية، حرمت عليهم البقاء في الوطن، أو الذين يختارون الهجرة بلا أي سبب محدد، ويعودون من حين لآخر، لإلقاء نظرة على أوطانهم، وتتبع تطورها أو تدنيها في غيابهم.

وإذا ألقينا نظرة سريعة، على كثير من النصوص العربية والعالمية، التي كتبها مبدعون اغتربوا عن بلادهم، واتخذوا بلاداً أخرى أوطاناً بديلة، مثل التشيكي ميلان كونديرا، واللبناني أمين معلوف، والمغربي الطاهر بن جلون، وجارسيا ماركيز في جزء من حياته، حين عاش مراسلاً صحفياً في أوروبا، نجد تفاصيل مدهشة، لذلك الوطن الذي تركوه من خلفهم.

تفاصيل ربما لا يكتبها مبدعون يعيشون بالداخل ويصادفونها يوميا أثناء حياتهم وتجوالهم، ولا يولونها اهتماماً كبيراً، وتتأجج مخيلاتهم إلى ما وراءها للعثور على تفاصيل أخرى، غير موجودة أو غير ممكنة، لرصدها في كتابتهم، باعتقاد أنها تشد القراءة أكثر.

المشكلة هنا تكمن في مسألة العادية، التي تؤثر كثيراً في عمل المخيلة، أي ذلك الزخم اليومي المعتاد الذي لن يبهرهم كثيراً، ولن يصلح في رأيهم مادة لنص ممتاز، يطالعه القارئ المتوفر في الداخل، ويندهش، لأن القارئ نفسه جزء من ذلك الزخم اليومي، ومحرك أساسي له، ولا يحتاج لمن يكتبه له حتى يقرأه.

وبهذه النظرة التي أعتبرها غير منصفة، تضيع عوالم ثرية ربما تدهش حتى ذلك القارئ المتوفر فيها، لأن القارئ ليس مبدعاً أساسياً، بالرغم من أن وجوده، ضرورة كبرى للإبداع، وهو ليس بالضرورة، منتبها لكل شيء يمر من حوله، وهو يطارد الحياة، ليعيش، ولا يملك يقينا حس المبدع أو ذاكرته المميزة، ليصنع أحداثاً يقرؤها لنفسه.

وقد اعتدت حين أعود إلى وطني، في عطلاتي السنوية، أن ألتمس تلك العوالم التي صورها الحنين، بصورة مدهشة، وأوقدها في نصوصي، أحياناً أجدها بالفعل تستحق عناء كتابتها، وأحياناً أجدها عادية، فقط صورت لي غير عادية، أجلس إلى بائعات الشاي اللائي كتبت عنهن في عدد من النصوص، أستمع

التواصل الاجتماعي بين الأمس واليوم



ناصر الزمل

لو عدنا للوراء أيام الثورات العربية كما في سوريا أيام الانتداب الفرنسي، وفي مصر في ظل الانتداب البريطاني، وفي الجزائر تحت الانتداب الفرنسي فكان تلك الجماهير الغاضبة تحدد ساعة الصفر بطريقة تواصل أخرى غير الفيس بوك، فكانت (المنشورات) توزع في الشوارع وتحت أبواب البيوت والمحلات ليلاً وبين أفراد الأحزاب السياسية، وبقي الحال كما هو لسنين طويلة حتى جاءت الإنترنت، وكانت بداية عبارة عن مواقع سياسية كان القائمين عليها يحملون أسماء وهمية، وتقوم بحجبها الحكومات العربية، وأصبحت تلك المواقع بين شد وجذب بين الشعوب العربية والحكومات ثم جاءت بعد ذلك المدونات التي ظهرت في عام 1997 ، إلا أن انتشارها على نطاق واسع لم يبدأ إلا بعد عام 1999 ، وهو موقع شخصي على شبكة الإنترنت يدون فيه آراءه ومواقفه حول مسائل متنوعة، وتكون هذه المدونات مؤرخة ومرتبة زمنيا تصاعدياً، وهذه المدونات منظمة تنظيماً ذاتياً تساعد الأفراد على التفاعل من خلال المشاركة والتعلم عبر تبادل الأفكار والمعلومات فضلاً عن حل المشكلات الاجتماعية والسياسية.

وهي عبارة امتداد بل تطوير لتلك المواقع، حتى جاءت شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر واليوتيوب في ظل الهواتف الذكية التي غيرت مفاهيم كثيرة، فسلّمت الحكومات العربية بتلك البوابة التي انفتحت على مصرعيها؛ حيث ألغت الحواجز الجغرافية والمكانية، وتحطمت فيها الحدود الدولية، حيث يستطيع الفرد في الشرق التواصل مع الفرد في الغرب، في بساطة وسهولة.

ويُعد الفيس بوك من أشهر المواقع على الشبكة العالمية، ورائد التواصل الاجتماعي، وأصبح اليوم منبر افتراضي للتعبير، واتخذه الشباب اليوم بديلاً للأحزاب السياسية العاجزة الفاشلة، ولا الفيس بوك يزال يوفر ساحات تنطلق منها الأفكار الجديدة الرامية إلى حشد الجماهير وراء قضية أو فكرة معينة، فقد نجحت تلك الشبكات بهبوب رياح الربيع العربي، ونزول الجماهير الشعبية إلى الشارع وكان ذلك المحرك الأساسي لهذه الجموع هو الفيس بوك.

ولكن أصبح أثر تلك الشبكات ليس للتواصل فقط من أجل التحكم والتوجيه بالشعوب في شوارع بلدان الربيع العربي، بل أصبحت تواصل بين الكتاب والأدباء والمفكرين كل في مجاله؛ حيث خرجت لنا الأسماء صريحة بلا تستر خلف أسماء وهمية إلا القلة، ولم يقتصر ذلك كله على فئات محددة بل تخطى ذلك للتواصل بين شعوب العالم في عدد من المجالات الأخرى كالتقنية، التي كنا في السابق نسمع عنها ولا نشاهدها في أسواقنا العربية إلا بعد مرور عشرات السنين.

وباتت بعض مواقع التواصل الاجتماعي من أكثر المواقع زيارة في العالم، بما في ذلك فيس بوك ويوتيوب وغيرها.

إلى عراك الحياة من حولي، وأصادف شخصيات، ربما كتبتها أو كتبت شبيهاً لها. أقضي العطلة في أغلبها، أقارن بين ما كتب وما يمكن أن يكتب، وربما أطالع شيئاً من إنتاج زملاء يعيشون في الوطن، وأبحث داخله عن الإدهاش.

وحين أعود إلى مغتربي، أحس بأنني أملك كنوزاً من الحكايات والشخصيات، وبدافع الحنين أيضاً، أكتبها، ويبدو لي قصتي مع عسكري المرور عبد الله كوة، الذي حرر لي مخالفة لدخولي في طريق ذي اتجاه واحد، لا أعرفه، أو الفتاة التي تعمل ضابطاً في إدارة الجوازات، وتابعتها سنوات، منذ كانت فظة وتغيرت بعد زواجها، أو مشاهدتي للرجل الذي كان يصيح ويمزق ثيابه في وسط مستشفى الخرطوم؛ قصصاً مدهشة، أضيف إليها شيئاً من الخيال، بالرغم من أنها قصص عادية، تتكرر باستمرار.

وما زال يأسرني وصف ماركيز للحنين الذي يملك أحابيل، لا يمكن الفكاك منها، في روايته الحب في زمن الكوليرا، حين تحدث عن الطبيب الذي عاد إلى بلاده بقناعة تامة، تاركاً حياة مرفهة في أوروبا، ليفاجأ في الميناء حين رست الباخرة، بالحر والرطوبة، ومنظر الذباب على أنوف الأطفال، والنساء المتسخات في زينة رخيصة، وهن يرضعن أطفالهن بأثداء ضامرة، ثم ليعود إلى وعيه في تلك اللحظة، ويلعن الحنين وأحابيله.

في الكتابة العربية توجد تجارب كثيرة، للكتابة المغتربة التي تعتمد على الذاكرة والحنين، منها تجربة عبد الرحمن منيف، وتجربة الروائي الليبي إبراهيم الكوني، تلك التجربة الكبيرة المتسمة المدهشة، التي صاغ في داخلها عشرات الكتب، ولم تكن في معظمها عن أحداث خارج الوطن، بينما هو في الحقيقة، يقيم خارج الوطن منذ زمن طويل.

تلك الأساطير الفنية وذلك الموروث الصحراوي المدفون، والذي في اعتقادي لم ينبشه الذين بالداخل كما نبشه، ولم يظهره للعالم أحد مثله، ولن يعيد -حتى الذين ما زالوا يعيشون في الصحراء- إنتاجه كما فعل.

فكتابات مثل الورم والمجوس وخريف الدرويش، وغيرها العشرات من الروايات والسير والحكم، إنما هي حصيلة لحنين جارف إلى تلك العوالم الماضية، تدفع للكتابة عنها بلا خيار آخر، وتدعمه الذاكرة المبدعة التي لا يسقط من جرابها خبر، ولا تتسرب من شقوقها قطرة مطر واحدة هطلت ذات يوم في صحراء جافة، أو عثرة لبعير احتك بحجر.

وأظن بأن تجربة الكوني، بقدر ما أدهشت قراءه العرب والغربيين بعد أن ترجمت أعماله، يمكن أيضاً أن تدهش قراء الداخل، أو سكان العوالم التي صاغها، حين يجدون ما لم ينتبهوا إليه، قد انتبه إليه مبدع مغترب عن الوطن، والذي قد لا يمثل قيمة كبيرة لديهم، قد أصبح ذا قيمة عالية.

منذ عدة أشهر، وأثناء وجودي في السودان، سألتني قارئة عن تفاصيل كثيرة كتبتها في سيرة لي اسمها مرايا ساحلية.

قالت إنها تمر يومياً بولحدة شبيهة بحمدة البيضاء، تلك المتسولة التي كتبتها، ويسكن بجوارهم، في بيت مهجور، مشرد مثل عزيزو لا يعرف أحد أصله، يقرأ الكتب باستمرار، ويلقي الشعر بلا مستمعين له، لكنها لم تكن تظن أبداً، أن تلك شخصيات تصلح لكتابتها في نصوص، وانتبهت لها حين كتبت.

بالطبع ليس لي جواب آخر، سوى ما أكدته، وأكده ماركيز، وآخرون، عن سطوة الحنين، ودعم الذاكرة لدرجة إرهاقها، كل ما يكتب بدافع الحنين، يترك أثراً، خاصة السير، لأن الحنين داخلها ومن حولها، يكون في أوج اشتعاله.

ثقافة الأجيال

أحمد صالح الصمعاني



أحمد الصمعاني

قبل عقدين من الزمن جرت العادة بوقوف الشباب أمام الأسواق التجارية لقراءة الصحف والمجلات سواء كانت رياضية أو إخبارية أو غيرها، فهذه طريقة تقليدية يلامسها جزء من التعب للحصول على المعلومة، ولا سيما أن الأخبار كانت تتأخر لليوم التالي في الصحف الورقية ليصل الخبر، وكانت الصحيفة والتلفاز هما مصادر الأخبار والثقافة بشكل عام، وفي مطلع 2002 تقريباً توسعة الشبكة العنكبوتية في الصفحات الرقمية وبدأت المصادر تتوفر في إيصال المعلومات والأخبار بشكل سريع وخاصة في عام 2007- 2008 حتى الآن تمكنت هذه الشبكة من تداول الخبر والمعلومة حيث أنها تُنشر خلال لحظات، بالإضافة إلى أن مصادر المعلُومات أصبحت واسعة ومتخصصة كالمواقع العلمية والموسوعات الالكترونية، تمكنت التقنية من توظيف المعرفة واستغلالها بشكل جيد في تحضير جميع الأعمال التجارية والعلمية والخيرية وغيرها، فكما عُرفت بالموجة الثالثة التي يعيشه الإنسان حالياً، يروي الدكتور ميسرة طاهر خبير (علم النفس) معاناته في بدايته الإعلامية قبل 20 سنة تقريباً في إذاعة القران الكريم حيث أن أعداد الحلقة يستغرق عدت أيام في البحث بالكتب والمصادر وصعوبة انتقاء المواضيع وغيره، فهذا الجيل أدرك أن المعرفة والثقافة الالكتروني قامت بنقلة رائدة، حيث أن البحث عن معلومة أصبح في متناول الأيدي بالإضافة إلى سهولة استخدامه وقد يستغرق البحث عن المعلومة أجزاء من الدقائق، ومن الإيجابيات في العلم الجديد أن المعلومة هي التي تصل إلى الجهاز المحمول مثل برامج التواصل الاجتماعي وليست بحاجة إلى البحث وبدون رسوم مادية للخدمة فقط لتكلفة الانترنت، وهذه نقطة عالجت مشاكل الروتين والملل فكما هو حال البعض الآن يقضي ساعات في استخدام جهاز الجوال دون شعوره بالوقت، فهذه فرص ثمينة لكي يقوم المرء بتطوير ثقافته عن طريق الأجهزة الصغيرة المحمولة وبفضل الله يوجد شريحة كبيرة من المجتمع تمكن من استغلال برامج النشر والتواصل الاجتماعي بالرسائل والمعلومات الإيجابية مثل النصائح التربوية والإسلامية وغيرة، ولا يخفى عليك عزيز القارئ أن الثقافة كانت شبه محصورة على الصحيفة اليومية التقليدية أو التلفاز فقط، لكن الساحة الالكتروني سيطر على العلم بشكل كبير حتى أصبح له علمه الخاص وكُتب وموسوعات مثل كتاب (الثقافة الالكترونية) للدكتور جورج نوبار سيمونيان، فالثقافة صنعت لها عدت أبواب وعدت ثقافات مثل الثقافة الإسلامية والرياضية بل أنه تم ابتكار ثقافات غير أخلاقية.

فإذا كان الرحالة والمستكشفون الغربيون قد استطاعوا، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أن يزيحوا الستار عن خبايا بلاد الشام وأرض الكنانة وشمال إفريقيا، فالجزيرة العربية بمدينتيها المقدستين وربعها الخالي ظلت أرضاً محرمة. ولاشك في أن فيلبي، خلال دراسته في قسم الدراسات الشرقية، في كلية ترينيتي بجامعة كمبريدج، قد قرأ واستوعب تجارب هؤلاء الرحالة الذين سبقوه إلى البلاد العربية. ويبيّن الدكتور عمشوش في هذا الكتاب أن كثيراً من مواقفه وتصرفاته تعكس في المقام الأول سعيه إلى تجنب الأخطاء التي وقع فيها الرحالة الغربيون الذين حاولوا استكشاف الأراضي المحرمة من قبله.

وقد رصد سانت جون فيلبي رحلاته الاستكشافية إلى الجزيرة العربية في مئات المقالات والدراسات والمحاضرات، وأكثر من خمسة عشر كتاباً ضمنها عدداً كبيراً من الصور والرسومات والخرائط. وعلى الرغم من أهمية ما قام به فيلبي من رحلات استكشافية وما كتبه عن بلاد العرب فلا تزال الدراسات العربية عنه نادرة جداً، لهذا يحق للدكتور عمشوش أن يرى أن الدور الذي قام به سانت جون فيلبي في تاريخ الأقطار العربية يفوق بكثير دور لورنس أهمية وأثراً.

ويندرج الكتاب الخامس للدكتور عمشوش في إطار اهتمامه بما كتبه الرحالة الغربيون عن حضرموت واليمن وشبه الجزيرة العربية بشكل عام، وقد قام بدراسة رحلة فيلبي إلى حضرموت من خلال قراءة تحليلية لكتابه (بنات سبأ) الذي يحتوي على سرد لها، وكذلك الكتابين اللذين ضمنهما فيلبي سيرته الذاتية: (أيام عربية وأربعون عاماً في البرية)، وكذلك الملف الخاص بفيلبي في وثائق الاستخبارات البريطانية التي نشرها مكتب السجلات العامة والأرشيف القومي البريطاني ونشرها في نهاية عام 2002.

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول من الكتاب سيرة سانت جون فيلبي وحاول أن يربط فيه بين المحطات الرئيسة في حياة فيلبي وبين الدافع الأول لمجيئه إلى الجزيرة العربية: الاستكشاف. وفي الفصلين الثاني والثالث قام بدراسة تحليلية لوقائع زيارة فيلبي لحضرموت، وردود فعل الحكومة البريطانية والسكان المحليين والإمام يحيى بن حميد الدين تجاه تلك الزيارة. أما الفصل الرابع فقد كرسه لدراسة الأبعاد العلمية لرحلة فيلبي إلى حضرموت، سواء أكانت جغرافية أم تاريخية أثرية أم اجتماعية. وفي الفصل الخامس تطرق للأبعاد الفنية والأيديولوجية لكتاب (بنات سبأ). وقد ضمنه أول محاولة لدراسة مقومات الأسلوب الفني الذي اتبعه عبد الله فيلبي في تدوين رحلاته، والذي يرتكز على تقنيتي السرد والوصف بالإضافة إلى الصور والرسومات والخرائط. وبما أن فيلبي قد ضمن كتابه (بنات سبأ) أبعاداً أيديولوجية واسعة فقد قام في هذا الفصل بدراسة الكيفية التي سلكها فيلبي للمزاوجة بين سرد الرحلة وخطابه الأيديولوجي السياسي.

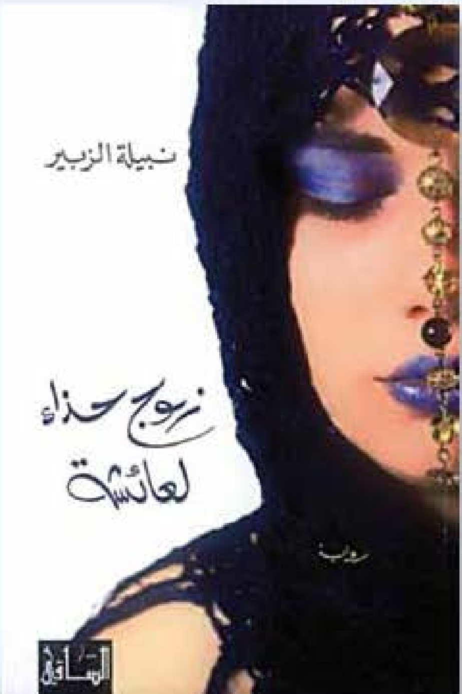
وإذا كان بعض الغربيين وبعض العرب قد أبدوا استيائهم من الآثار السياسية التي أفرزتها زيارة فيلبي لحضرموت، ومن الصبغة الأيديولوجية التي برزت في كتاب (بنات سبأ)، فهم بالمقابل لم يترددوا في التعبير عن إعجابهم بالأبعاد العلمية لتلك الرحلة وغيرها من رحلات فيلبي الاستكشافية. فالكاتب خيري حماد، يؤكد في كتابه (عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث) «إذا كنا قد تنكرنا لفيلبي السياسي، لما مثلته سياسته في وطننا العربي من ميول استعمارية بغيضة، فعلينا أن نحني الرأس تقديراً وإعجابا بهذا الرجل الفذ الذي كانت دراساته عن الجزيرة العربية وأوضاعها وأحوالها من أنفس ما كتب عنها من أسفار وكتب في مختلف العصور واللغات». لهذا يختتم الدكتور عمشوش كتابه معترفاً بأهمية الجانب العلمي لرحلات فيلبي الاستكشافية؛ فعلى الرغم من كل سلبيات فيلبي، فإن ما أضافه من معرفة حول الجزيرة العربية لا يمكن أن يفوقه فيه أحد.

رواية زوج حذاء لعائشة للكاتبة اليمنية نبيلة الزبير

علي نسر –الحياة اللندنية

في روايتها الجديدة (زوج حذاء لعائشة) الصادر عن دار الساقي 2012 تحاول الكاتبة اليمنية نبيلة الزبير أن تكشف المستور، وتسقط الأقنعة عن وجوه كثيرة، ضاربة بعرض الحائط الموانع والحواجز التي غالباً ما تحول بين المتكلّم وما ينبغي أن يقوله. لذا، تأتي ضربتها شبه القاضية على عنق المثلّث المحظور عادة، والذي استحال آيات مقدّسة كرّستها الأعراف، وساهمت بوجودها ممارسات الحكام الذين حرّموا على غيرهم الكلام غير المتوافق وظروفهم السياسية والفكرية... إنه مثلث الدين والسياسة والجنس. فتضعنا الكاتبة وجهاً لوجه أمام واقع عربي مأسوي، متّخذة من اليمن بؤرة شكّلت أرضاً خصبة للسرد وإطلاق الرؤية السردية، فإذا به واقع يرزح تحت نير التقاليد والعادات التي أدخلت المواطن في سراديب من الكبت على مختلف المستويات. إنه واقع يمني/ عربي مستباح للآخر، سواء كان هذا الآخر غريباً وافداً من وراء البحار، مسيطراً ومستعمراً (وإن كانت الإطلالة عليه سريعة في النص) أو الآخر المتمثل بالجائرين من أهل البيت أو البلد نفسه، وأكثر المتأذين من هذا الواقع، النساء، فراحت كل امرأة من بطلات العمل، على شاكلة (عائشة) البطلة الأساسية في الرواية، تبحث عن حذاء يقيها ويشكّل لها ستراً، بعد أن حوّلها الظلم الذكوري إلى إحدى بنات الهوى، ليتحوّل وجود الإخوة الأشداء الذين يجب أن يكونوا حماة، إلى سبب أساسي للخروج على الأسس الأخلاقية نتيجة تضييقهم وجورهم «...لا تضيع بنات لهن أخوة أشداء...غير صحيح يا أبي، الصحيح أنه لا تضيع بنات إلا إذا كان لهن أخوة أشداء»ص163.

وهكذا، تتخبّط المرأة في أرض موحلة، ووطن عاجز عن إيجاد حلول لهذه المشكلات، فيستحيل سجناً كبيراً، كل ما يحويه عبارة عن سجون صغيرة، من السجن المركزي والسياسي إلى



البيوت العائلية، فبيوت الطالبات والأماكن العامة التي ما زالت تفتقر إلى الاختلاط بين الجنسين... تقف الكاتبة وبصوت صريح، أمام سلطة الرجل.

وما تحمله شخصيته الذكورية من عقد يحاول تنفيسها بالمرأة. وعبر نموذج طارق المتزوج لأربع مرات في النص. هو خليط من شخصيات وأوصاف عدة. يوظّف كل ما يمكن. عن اقتناع أو التفاف على اقتناعاته. من أجل إثبات قدرته الذكرية وفحولته الجنسية. فمن متدّين وخطيب مسجد. إلى جاعل بيته ساحة رقص لزوجته. إلى من يغضّ النظر عن تحرّش صديقه بها أحياناً... ما يجعل المرأة وحيدة ليس من يستميت في الذود عنها وعن شرفها إلا بقتلها غسلاً للعار أمام الناس حين تصبح عبئاً على الأهل والزوج والإخوة...

هذه هي أبرز القضايا التي تتناولها الكاتبة وتحاول أن تبلور رؤيتها من خلالها. موظّفة التقنيات الروائية كلها. من زمان ومكان وشخصيات وحوارات وراوٍ وأصوات سردية داخلية. فتضافرت هذه التقنيات لتشيّد الكاتبة عالماً روائياً ذا صلصال خاص يشكّل معادلاً موضوعياً للعالم الخارجي والمرجعي...وتمكنت بنسبة لا بأس بها من ذلك. لكن اللافت أن الموضوع لم يقدّم شيئاً جديداً. سوى أنه عرّفنا إلى بطلات بأسماء جديدة. ولم تقم الكاتبة إلا باستعراض للواقع. وكأننا أمام فيلم وثائقي لا يستطيع معدّه أن يتدخل في تغيير مشاهده الحقيقية. ولختُزلت الرواية برؤية شبه مؤكّدة. وهي التحريض على حماية المرأة نفسها بنفسها عبر الاعتماد على مسؤولين ومدعومين وذوي نفوذ في الدولة والمجتمع... وعلى الرغم من الحرية التي تبحث عنها الكاتبة للمرأة في هذا المجتمع. نراها تقع في منزلق انعدام الحرية وعدم منحها لبطلاتها بشكل مطلق وكأنهن كنّ قاصرات لا معرفة لديهن ولا قدرة على التعبير. فنراها تقيّد حركات الشخصيات. خصوصاً النساء والفتيات اللواتي غصت الرواية بمشكلاتهن. وترسم منذ البداية صوراً لا تستطيع الشخصية تجاوزوها عبر نمو الأحداث. فقد اعتمدت نمط الراوي العليم الكلي المعرفة. وإن حاولت إعطاء بعض شخوص النص حرية الحكي والسرد والتبئير أحياناً. لكنها ظلت صاحبة اليد الطولى في السرد والحكي والتبئير الأساس على طول العمل. قاطعة كلام الأبطال أحياناً. معلّقة بطريقة فيها الكثير من الهيمنة. حارمة المتلقي لذّة اكتشاف المصائر بنفسه. نظراً إلى تدخلها غير المناسب والجائز أحياناً كثيرة. وعبر استخدامها ضمير المتكلم والتوجه بضمير المخاطب إما إلى إحدى شخصيات النص أو إلى المتلقي مباشرة. فما الداعي للتدخل الفج والصريح في تبئير كلام رجاء إحدى البطلات الرئيسة. وكأنها هي نفسها بطلة أخرى كقولها: «إن رجاء تقول: حيث المهن الأشد إيذاء لأصحابها. هناك وربما هنالك فقط توجد الأخلاق. شكراً لحكمتك يا رجاء. لكن من دون هذا التحديد. اسمحي كلمة فقط. مسحناها. لا يزال الوقت باكراً على موعدها» (ص218). وهكذا كشفت لنا براءة (عائشة) من ممارسة الدعارة بتدخلها غير المسوّغ ولم تترك لنا مجالاً للتشويق ولمعرفة هذه البراءة بأنفسنا. (ص 370)

وهذا النمط للراوي الخارجي العليم. حرم النص من اختلاف وجهات النظر التي تدفع القارئ إلى القراءة غير مرة. فقد جنت الكاتبة على عملها إذ أتخمته بالمواعظ والرؤى الخاصة بها. حتى استحال كتلة وعظية ثقيلة على المتلقي الذي قد يشعر بالدونية أمام تلك المواعظ الجاهزة والتدخلات وأمام حرمانه من لذة اكتشاف المصير بنفسه. أو الانتصار لوجهة نظر قد تكون مختلفة عن وجهة نظر الكاتبة. وكان هذا ممكناً لو أن الكاتبة تركت شخصياتها تحكي وتسرد وتبئّر وتطلق رؤى مختلفة وبحرية أكثر من دون تدخلات أثقلت النص وحمّلته عبئاً كبيراً.

الشيخ الرئيس رجب طيب أردوغان

شريف تغيان

«لا أعلم لماذا تكتب (أردوغان) مع أن التركية ليس بها حرف الغين ! كما أن الحرف الذي يظنه البعض جيم لا ينطق جيم مطلقاً في التركية!!» .

دفقة أخرى من الأمل في مستقبل أفضل بإذن الله. ومن المتعة بالتعرف على بطل طالما حلم بظهوره عالمنا العربي. وأصبح رجب طيب أردوغان -أو أردوان- أحد أبطال زماننا القلائل .

يقول شريف تغيان عن رئيس وزراء تركيا أنه استطاع دون أن يطلق رصاصة واحدة أو يقوم بانقلاب أن يطيح بصنم أتاتورك. و ينال من مؤسسة الجيش التركي الحارس الأمين والمدافع الأول عن منهجه العلماني المجلل بالقداسة !!

ينقسم الكتاب إلى سبعة أبواب :

الباب الأول: النشأة و الصعود :

ويروي فيه البداية في يوم 26 فبراير 1954 وهو يوم مولد أردوغان. و قد ولد في حي شعبي فقير بالجزء الأوروبي من اسطنبول. كان والده يعمل في سلاح خفر السواحل التركي. ورباه هو وباقي إخوته الأربعة تربية إسلامية ملتزمة. و أبدى الصبي من صغره ذكاء وقوة في المنطق ووضوحاً في الرؤية جعلت أحد أساتذته يطلق عليه لقب: الشيخ رجب .

يحكي الكاتب موقفاً حدث لرجب في الابتدائي عندما سأل مدرس التربية الدينية عن من يستطيع أن يري زملائه في الفصل كيفية الصلاة. ورفع رجب يده. فقام المدرس ليفرش صحيفة على الأرض للطالب. فما كان منه إلا أن رفض الصلاة على الصحيفة لما عليها من صور لنساء سافرات ! خلال فترات تعليمه المختلفة كان أردوغان يساعد أباه في مصاريف دراسته فكان يبيع شراب الليمون والبطيخ بشوارع اسطنبول .

يرى الكاتب أن تجربة أردوغان في رئاسة بلدية أسطنبول هي بدايته الحقيقية في إثبات قدرته على أنه رجل اقتصاد وسياسة ملهم ومبدع نجح على مدار أربع سنوات (1994-1998) في انتشال المدينة من الإفلاس وحل الكثير من مشكلاتها مثل



انقطاع المياه والكهرباء وتفشي القذارة. وعندما سألوا أردوغان عن نجاحه في تخليص البلدية من ديونها قال: لدينا سلاح أنتم لا تعرفونه .. أنه الإيمان ولدينا الأخلاق الإسلامية وأسوة رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام. لكن نجاحه المبهر لم يشفع له عند القوى العلمانية التي أتهمته بإثارة المشاعر الدينية لدى الشعب عندما تلى بعض أبيات الشاعر التركي ضياء أوك ألب : «مساجدنا ثكناتنا .. قبابنا خوذاتنا.. مآذننا حرابنا .. والمصلون جنودنا... هذا الجيش المقدس يحرس ديننا».

فكان مصيره السجن 10 شهور والحرمان من ممارسة أي نشاط سياسي!.

الباب الثاني: سياسة مؤذن اسطنبول :

يمكن اختصار سياسة أردوغان فيما كتبته مجلة الإيكونوميست. بأنها سياسة توصلت إلى حالة «صفر مشاكل» مع جميع دول الجوار بما فيها طبعا اليونان، و إيران، والعراق ، ثم تأتي معركته الكبرى وهي الاقتصاد التركي المهترئ الذي استطاعت حكومة العدالة والتنمية في سبع سنوات تخفيض نسبة التضخم من 70 % إلى 10 %. وارتفاع متوسط دخل الفرد من 3000 دولار إلى ما يقارب 10000 دولار فارتفع مرتبة الاقتصاد التركي ليحتل المكانة 16 على مستوى العالم والسادسة على مستوى أوروبا .

كان دوره الكبير في حل المشكلة الكردية التي كانت سبباً في مقتل عشرات الآلاف في الثمانينات ... فما كان منه إلا أن أضعف النهج الأمني في التعامل مع القضية وإفساح المجال أمام العمل السياسي ليأخذ حيزاً أوسع بعيداً عن تأثير الجيش .

الباب الثالث: تحطيم الصنم :

يتناول الكاتب في هذا الباب كيف استطاع أردوغان تقليم أظافر العسكر داخل تركيا، وإعادة الإسلام التركي شيئاً فشيئاً دون عنف وإنما بالقانون، حيث دأبت حكومة أردوغان على إجراء تعديلات دستورية وصلت إلى وضع تصرفات الجيش المختلفة تحت رقابة ومحاسبة البرلمان والأجهزة الدستورية .

استطاع حزب العدالة والتنمية إعادة الهوية الإسلامية لتركيا بسياسته التي تجمع بين احترام علمانية الدولة التركية والتزام الليبرالية الاقتصادية وديناميات السوق الحرة الدافعة بتركيا نحو اندماج غير مشروط في زمانية العولمة من جهة و رؤى اجتماعية وثقافية وأخلاقية محافظة تعود في الأساس إلى مرجعية الحزب الإسلامية من جهة أخرى .

الباب الرابع: الثورة الأردوغانية :

يتناول فيه الكاتب بشكل أكثر تفصيلاً ما فعله أردوغان وحكومته من انقلاب دستوري .

الباب الخامس: من الحلم الأوروبي إلى الواقع الإسلامي :

تناول السياسة الخارجية التركية وكيف أصبحت تركيا داعمة للحقوق العربية، ثم الامتداد التركي إلى قارات العالم كافة .

الباب السادس: من الشراكة إلى الصدام :

يتناول الكاتب بكثير من التفاصيل العلاقات التركية الأمريكية في ظل حكم حزب العدالة والتنمية ثم العلاقات التركية الإسرائيلية حتى مأساة قافلة الحرية التي توجهت إلى غزة في مايو 2010 .

الباب السابع: وثائق وصور :

جمع فيه الكاتب مجموعة من أهم خطب أردوغان وصوره في مختلف المناسبات .

هو كتاب شديد الثراء في معلوماته التفصيلية عن الكيفية التي أصبح بها رجب طيب أردوغان بطلاً قومياً ليس بتركيا فقط بل للعالم العربي، وربما الإسلامي كذلك ... ليس بالقوة ولا بالسحر ولا بالثورية الفارغة! .

أتصور أن شعوب الربيع العربي بشكل عام والمصريون بشكل خاص يهمهم قراءة مثل هذه التجارب الناجحة التي تثبت أنه لا مستحيل على من لديه رؤية و إرادة. هذا الكتاب أكد على حقيقة هامة .. إن هناك فرق كبير بين أن تثبت وجودك وأن تثبت نجاحك ... فالثانية تحتاج إلى قدر أكبر بكثير من الحكمة وطول النظر وآثارها أعمق .. بعكس الأولى. كما أن الثانية لابد و أن تؤدي إلى الأولى .. و لكن العكس غير صحيح .

الكتاب صادر عن دار الكتاب العربي في 335 صفحة من القطع الكبير .

عزمي بشارة

أن تكون عربياً في أيامنا

(أن تكون عربياً في أيامنا)

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أقسام (قضايا عربية، المتغيرات الأمريكية في نهاية مرحلة بوش، فلسطين والقضية الفلسطينية). وقد توزعت عليها مجموعة دراسات ومحاضرات قدّمها الباحث من منتصف عام 2007 وحتى بداية عام 2009، من أبحاث ودراسات ومحاضرات تناولت القضايا العربية والمتغيرات التي رافقت نهاية فترة جورج دبليو بوش الرئاسية وقضية فلسطين. يطرح الكتاب نظرة عزمي بشارة في ضرورة الاعتراف بحق الأمة العربية في تقرير مصيرها وفرض سيادتها عبر الديمقراطية والمواطنة المتساوية.

مايميّز هذه الدراسات والمحاضرات:

أولاً: براعة الباحث في ربط مسألة النهضة بالهوية العربية والحداثة، وربط مصير القومية العربية بمدى قدرتها على تقبّل مهمات وتحديات المجتمع الحديث والعصر الحديث، ومواجهة هذه التحديات بمشروع، كما يربط بين مهمة تجديد الفكر العربي بمشروع بناء الأمة، وتحديد مطالب وبرامج في هذا الاتجاه تكون مفهومة للناس، ويمكن للناس ربطها بمصالحهم المادية والحقوقية كمواطنين.

ثانياً: ما تحمله فصول الكتاب من بعد فكري جديد، وأسلوب تشخيصي تحليلي. إضافة إلى ما تجلى فيها من نبض حيوي يشير إلى ضرورة تجديد الفكر، إن كان ذلك في القضية العربية عموماً، أو القضية الفلسطينية.



السفر عبر الزمن بين الخرافة والخيال العلمي

نسمع كثيراً عن آلة الزمن Time Machine في الأفلام ذات الخيال العلمي أو رواية Wells' novel البريطاني البداية الحقيقية لقصص العبور إلى الأزمنة وتخطي مئات و ألوف السنين سواء بالعبور نحو المستقبل أو الماضي برغم إن علماء الفيزياء يسخرون من فكرة العبور نحو الزمن إلى عصور سابقة معتبرين ذلك ضرباً من الخيال أو الشعوذة . في هذه المقالة المترجمة يتناول العالم الفيزيائي الياباني- الأمريكي ميشيو كاكو فكر السفر عبر الزمن وإمكانية تحقيقها علمياً.

وجهات نظر في الغوص عبر الزمن

ومع ذلك لم نشهد تقدم ملحوظ في نظرية الجاذبية الكمية، بل أصبحت الآن لعبة متداولة لعلماء الفيزياء بين النظرية والتطبيقات حيث تفسر النظرية العلة بين الحدث الأول والأخير، فمثلا شاب يريد إن يغوص في الماضي مع أنه لا توجد لدية إحداث حتى يشارك بها كونه لم يولد بعد ! والحال يختلف في الغوص في المستقبل حيث الكينونة أصبحت موجودة ولكن لا يمكن تخيل التطورات في المستقبل. ويعتقد Newton أن الوقت مثل السهم يطبق مرة واحدة بخط مستقيم ولا يعود إلى الوراء. كما أن Einstein يقول إن الزمن على الأرض لا يساوي الزمن على كوكب أخر مثل المريخ ويعلل ذلك بأن حركة دوران الكواكب تختلف من كوكب لأخر وحصل Einstein على جائزة Princeton، Kurt Goedel في قدرته على عبور الزمن بحوالي 500 سنه ماضية وشبه الزمن كالنهر يسير و أحياناً توجد فيه دوامات تعود للوراء من نقطة الانطلاق ويقول Einstein أنه شعر بالانزعاج لأن معادلاته سمحت له بالسفر عبر الزمن، ومن المعادلات التي قدمها Einstein فسر العلماء نظرية الانفجار الكبير للكون وعودة الانفجار إلى التقزم مرة أخرى، ثم في عام 1963 وجدت روي كير وهي عالمة رياضيات نيوزيلندية حل لمعادلات أينشتاين للثقب الأسود بالتناوب، والذي كانت مملوءة بالخصائص الغريبة فالثقب الأسود لن ينهار إلى نقطة البداية (كما كان يعتقد في السابق) ولكن في حلقة الغزل (النيوترونات) سيظل يدور إلى ما لانهاية .

السباحة الآنية بين زمنين ومكانيين في آن واحد

ليس الفارق المكاني بين مساحة الثقوب السوداء يقاس بالمكان ولكن الفارق زمني أيضاً ويمكن استخدام آلات الوقت لقياس الفارق الآني بين مكانين وزمنيين، ومثال أخر بتطبيق نظرية الكم quantum theory يوجد الإلكترون في وقت واحد على مدارات مختلفة حول نواتين لعنصرين (وهي الحقيقة التي بنيت عليها قوانين الكيمياء. (وعودة إلى قصص الخيال تطرح قطة Schrodinger الشهيرة التي توجد في وقت واحد حالتين بين الحياة والموت و لربما نحن نعيش بين عالمين موازيين لبعضهما أن المقتنعين بآلة الزمن يقولون إن وجودها يتطلب طاقة هائلة أو العثور على الطاقة العكسية negative energy والتي ستسير عكس الانفجار العظيم للكون ،وعودة إلى الثقوب السوداء ومنها Kerr black hole الذي يعتبر أن الثقوب السوداء غير المستقرة والذي يفسر اضطرابه بنظرية "theory of everything" والتي تجمع بين قوي الكم وقوة الجاذبية ونظرية superstring theory التي تحاول فصل العاملين السابقين بطريقة تنسق بين أدائهما وهي محدد جيد إلى ألان للبحث عن نظرية بديلة نستطيع فيها تصور الإحداث السابقة للكون عموماً.

تجدد الدعوات للسفر عبر الزمن

ومن المثير للاهتمام، دعوة ستيفن هوكينغ مرة أخري لفكرة السفر عبر الزمن من خلال البحوث الأخيرة التي قام بها علماء الفيزياء في مجال النظرية الكمية وخلال خمسة أعوام فقد راقب فريق علمي كومة من مملكة النمل بواسطة كاميرا ولاحظ المسارات التي تسير عليها النمل وقاموا باسترجاع المقاطع إلى الوراء وتخيل المسارات المفترضة لسير النمل وطرح افترض السير الممكن وبتطبيق النموذج السابق في حياتنا للسفر عبر الزمن للماضي والعبور للمستقبل.

قراءة في الكون المجهول...جواز سفر للمجهول

فكرة السفر بين النجوم عند مناقشة إمكانية السفر بين النجوم، لا يوجد شيء يسمى "the giggle factor" ويقول بعض العلماء يميلون إلى الاستخفاف بفكرة السفر بين النجوم بسبب المسافات الهائلة التي تفصل بين النجوم. وطبقاً لنظرية النسبية المطبقة منذ 1905 والتي تقيس المسافة بين بالسنة الضوئية، حتى النجوم المألوفة نراها في على مسافات ما يقرب من 50 إلى 100 سنة ضوئية عنا، ومجرتنا هو 100.000 سنة ضوئية و المجرة الأقرب منا تبعد 2 مليون سنة ضوئية ويقول علماء الفيزياء والفلك إن 99% من الكون لم نتمكن من معرفته وان النجوم والكواكب والشهب والنيازك والثقوب السوداء وغيرها تمثل 1% من معرفة الإنسان حالياً للكون وهذا الجهل الكبير يجعلنا في بداية السلم ففي درب اللبانة (مجرتنا) هناك ما يزيد على 100 بليون نجم، وهناك عدد لا يحصى من المجرات في الكون على الرغم من أن أكثر من 100 كوكب شمسي اكتشفت حتى ألان في الفضاء السحيق تشبه كوكبنا فإنه أمر لا مفر منه، يعتقد الكثير من العلماء، أن يوماً واحداً سوف نكتشف كواكب شبيهة بالأرض مغطاة بالماء السائل وأن DNA السجل الذي يؤرخ حياه الإنسان في السفر قبل 3.5 مليار سنة في المحيطات التي غمرت الأرض من خلال مفهوم "universal solvent" قد نستطيع من خلاله معرفة المزيد التي تساعد على اختراع آلة الزمن .



الصالونات الثقافية هل هي ضرورة أم ترف ؟
أضواء على الصالونات الثقافية

د.جابر قميحة

اختلفت الآراء وتضاربت حول أهمية المجالس الثقافية في الوقت الحاضر وما تهدف إليه، منهم من قال: إن المقصود منها الوجاهة، ومنهم من قال: إنكم أعطيتموها أكثر مما تستحق، وهي مجرد لقاءات إخوانية (لطق الحنك) والسواليف، هل لمجرد أنها مواعيد محددة؟ كدورية أو (دارية)- كما يقول العوام- وإنكم أحطتموها بهالة لا لزوم لها ودور لا تستطيع القيام به، ومنهم من دافع عنها على اعتبار أنها نافذة مشرعة على مصراعيها ليدخل الضوء وليستفيد روادها بكل ما يطرح فيها من موضوعات ثقافية أو اجتماعية، ولتساعد على إثراء الحركة الفكرية والأدبية، ومنهم من قال إنها ستسحب البساط من تحت أقدام الأندية الأدبية والجمعيات الفنية، لأن تلك الأندية لم تستطع حتى الآن أن تضطلع بدورها الحقيقي الذي أنشئت من أجله، ولهذا فقد أصبحت تلك الصوالين أو المجالس هي الأمل الوحيد لسماع الحقيقة دون رقابة بالرغم من قلة روادها، ومنهم من قال إن روادها مكمل لدور الأندية الأدبية فلا تعارض بينهما.

اشتهرت مصر بظاهرة الصالونات الثقافية في النصف الأول من القرن العشرين .أخذت الظاهرة في بدايتها بعداً طبقياً وثقافياً .. لكن مرحلة النضج شهدت صعود البعد الثقافي على حساب البعد الطبقي .ويعد صالون العقاد أشهر صالون ثقافي في تاريخ مصر .

في العصر الجاهلي، وما تلاه من العصور كان الشعراء يقصدون الملوك والأمراء ويمدحونهم، ويحضرون مجالسهم، ونرى في عكاظ صالوناً، أو مجلساً أدبياً في صورة مبسطة تتفق مع طبيعة العصر الجاهلي، وهي تلك القبة من أدم (جلد) التي كانت تضرب للنابغة الذبياني، ويقصده الشعراء يحكمونه في شعرهم، فينقد ، ويفاضل بينهم ، ويقدم حيثيات ، أو مبررات . أحكامه النقدية ، وتعلو نبرة الحوار ما بين مرحب بالحكم راض، وما بين ناقم رافض، وكل يدافع عن رأيه ، ويدعمه بأسانيد من اللغة والبلاغة، وممن قصد «هذا الصالون» الأعشى (أبو بصير) وحسان بن ثابت، والخنساء . أخت صخر . التي قالت فيه أشهر مراثيها ..

وكان هناك مجلس سيف الدولة الحمداني من أشهر المجالس، وكان المتنبي أشهر من ينشد فيه، ولم يكن هو الشاعر الوحيد في هذا المجلس، فقد كان يحضره آخرون من الشعراء ك أبي فراس الحمداني .

وكانوا ينقمون على المتنبي مكانته عند سيف الدولة، وكانت تقع في المجلس حوارات ومناورات واعتراضات، وينقل لنا التاريخ كثيراً منها، ربما كان أشهرها يوم أنشد المتنبي أمام سيف الدولة ميميته المشهورة التي استهلها بقوله :

واحر قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمي وحالي عنده سقم

فأخذ من في المجلس من حاسديه يتعسفون في نقده، ويعيبون ما قال .. بل أغلب ما قال بقصد الحط من شأنه أمام الأمير .. فمثلاً عندما قال :

سيعلم الجمع من ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم

صرخ فيه أحدهم:

وماذا أبقيت للأمير ؟ .. بل إنهم أخذوا يردون أبياته إلى معان في أبياته السابقة ، يتهمونه فيها بالسرقة .

وكثيرة هي مجالس الخلفاء والأمراء والعلماء في العصرين الأموي والعباسي، مثل تلك التي ينقلها التاريخ من مجالس عبد الملك بن مروان، والمأمون، والشريف المرتضى وغيرهم، وكثيراً ما كانت المحاورات والمناقشات تنطلق من موضوع أو سؤال يطرحه الأمير صاحب المجلس على الحاضرين ، فيدلي كل منهم بدلوه .

وفي رسالة الغفران يتخيل أبو العلاء مجالس أو صالونات في الجنة من اللغويين والنحاة في مسائل لغوية ونحوية وصرفية ونقدية حول ما يشاهدونه في الجنة، كذلك الجدل الذي دار بين مجموعة من النحاة واللغويين حول «الإوزة» أو «الوزة» ووزنها .

سكينة بنت الحسين:

كانت سكينة بنت الحسين ـ رضي الله عنها ـ ذات جمال وعقل وعلم وحجة وعفة، وقدرة نقدية فائقة، وكان يقصدها الشعراء ورواة الشعر يحكمونها في الأقوال والأشعار في بيتها في المدينة، تنظر إليهم وتسمع لهم ولا يرونها، وممن قصدها رواة الشعراء الثلاثة: نصيب، وجميل، والأحوص، وتتلو عليهم من حافظتها شعراً لكل واحد من شعرائهم، وتنقده نقداً بصيراً، مبرزة ما في شعر كل منهم من عوار .. كما قصدها الفرزدق في المدينة فواجهته بتفضيل جرير عليه، وسمعت شعراً لعروة بن أذينة الليثي فأخذت عليه بعض العيوب بروح فيها سخرية.

وكان لها شعر جيد منه البيتان الآتيان في رثاء زوجها الذي قاتل عبد الملك بن مروان حتى قتل:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذي
يرى الموت إلا بالسيوف حرامًا

وقبلك ما خاض الحسين منية
إلى القوم حتى أوردوه حمامًا

وبعد مقتله شرعت في الخروج من العراق إلى المدينة، فطاف بها أهل العراق، وقالوا أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله .. فقالت: لا جزاكم الله عني خيراً، ولا أخلف أيتمتموني صغيرة، وأرملتموني كبيرة، فلا عافاكم الله من أهل بلد، ولا أحسن عليكم الخلافة، وتوفيت بالمدينة في

ربيع الأول 117 هـ .

ومما جاء في تاريخ سكينة نستخلص أنها كانت ذات شخصية قوية ناشطة تتمتع بخلق رفيع، وعفة وتصون، ووفاء صادق لزوجها مصعب، حتى إنها رفضت أن تتزوج قاتله الخليفة عبد الملك بن مروان حين عرض عليها أن يتزوجها .

وكان لها رؤيتها النقدية البصيرة المبررة، فلم تكن تصدر حكمها النقدي إلا بعد معايشة النصوص التي تحفظها أو تعرض عليها، وتوازن بينها .

وهذه الصورة الخلقية والعقلية النفسية تجعلنا نرفض كثيراً من الروايات التي أوردها الأصفهاني، والتي لا تتسق مع ما تأكد من خلقها وتصونها؛ فصاحب الأغاني لم يكن همه البحث عن الحق، وتمحيص الحقائق، وتوثيق التاريخ، ولكن كان همه التسلية والتسرية والإطراب، كما كتب صراحة في مقدمة كتابه الضخم .

ولادة بنت المستكفي ت (480 أو 484 هـ):

وفي الأندلس اشتهرت ولادة بنت المستكفي .. تولى أبوها الخلافة سبعة عشر شهراً، قتل بعدها، وكان فاسداً نهاباً، رجل نساء وخمر، وأكل وشرب وتخلف، ومع ذلك اهتم بتربية ابنته ولادة، وأحضر لها المعلمين والمثقفين .. وكانت على قسط وافر جداً من الجمال والذكاء، وحضور البديهة.

وكان لجمالها أثر كبير جداً في تجميع الكبراء والعظماء حولها، وتهافتهم على مجلسها، وكانت تجلس فيه لهؤلاء، وتحاضرهم، وتحاورهم وتجادلهم .. وفي هذا المجلس كان يحضر ابن زيدون، و ابن عبدوس، وابن القلاس وغيرهم من الكبراء، ولم تعقد ولادة هذه المجالس إلا بعد أن مات أبوها، وخلا لها الجو، ولم يعد ثمة مسيطر عليها يتحكم فيها .. وقد انقسم الناس بشأنها قسمين، فقال بعضهم: إنها ـ على الرغم من مخالطتها الرجال، ومجالستهم في جو من الإغراء الذي كان يحيط بها .. وفي ذلك يقول ابن بسام أنها كانت «تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب .. وقال فريق آخر أنه لم يكن لها تصاون يطابق شرفها، فخرجت على المألوف، وحطمت التقاليد، واستهترت بالعرف الشائع الذي يصون العربيات عن التبذل، وخصوصاً بنات الخلفاء.

ولا شك أن ولادة استهدفت بكثير من الأخبار والمبالغات، ولكن تبقى حقيقتان لا تحتملان الخلاف وهما: أنها كانت مصدر إلهام ل ابن زيدون بأرقى وأرق وأخلد شعره .. وأنها كانت صاحبة «صالون» شد الأنظار وشغل الناس ، وكتب الأدب والتاريخ .

الصالونات المعاصرة في الكويت والسعودية:

عشت في الكويت أربع سنوات في بداية السبعينيات أؤدي رسالتي التعليمية، وكنت أحضر بعض «الديوانيات»، وخصوصاً ديوانية الأستاذ عبد الله العقيل، والديوانية تعقد مساء كل خميس، وهي تشبه الصالون الأدبي، ولكنها كانت تتسع لكل المسائل والموضوعات بما فيها أعمال التجارة، وعقد الصفقات، ولكن النادي الأدبي في الكويت كان يقوم بمهام أدبية ونقدية جليلة، ويصدر مجلة شهرية باسم «البيان» ، وكان من أظهر القائمين على أمرها: خليفة الوقيان، و خالد سعود الزيد، و سليمان الشطي .

وفي المملكة العربية السعودية تقوم الأندية الثقافية والأدبية في المدن الكبرى بالمملكة، وقد كان لي الشرف في المساهمة في أنشطة نادي المنطقة الشرقية بالدمام بمحاضرات، وأمسيات شعرية وندوات، ومداخلات، وكتابة بحوث في (دارين) مجلة النادي.

وفي المملكة عدد من الصالونات الأدبية من أشهرها وأنشطها صالون الاثنينية الذي يعقد مساء كل اثنين، ابتداء من 11/8/ 1982 في مدينة جدة، وقد أنشأه ورعاه الأستاذ عبد المقصود خوجة، وقد استضافت الاثنينية



عبد المقصود خوجة

عدداً من المفكرين والأدباء والشعراء والكتاب من العالمين العربي والإسلامي، كما أنها قامت وتقوم بتكريم عدد كبير من الأدباء والمفكرين في الاثنينية، ومن هؤلاء الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، والشاعر طاهر زمخشري، ومعالي الشيخ عبد الله بلخير، والأستاذ محمد حسن زيدان، والأستاذ حسين عرب، والأستاذ عزيز ضياء، والأستاذ محمود عارف، والأستاذ عبد العزيز الرفاعي، والشاعر عمر أبوريشة وغيرهم .. وتقوم الاثنينية بطبع ما يدور في الصالون من محاورات وشعر ونثر، وقد قدر لي أن أطلع على المجلد الأول ويقع في أكثر من 500 صفحة من الورق الفاخر .

صالونات القاهرة:

صالون نازلي فاضل ت (1914):

هي بنت مصطفى فاضل باشا الملقب بأبي الأحرار، وكانت ذات عقل وفكر وثقافة واسعة، فقد نشأت نشأة حسنة، وتلقت من العلوم والآداب الكثير، وثقفت الحديث من العلوم، وأحوال البلاد والتمدن، وكثيراً من العلوم السياسية والاجتماعية، وساعدها على ذلك عدد من العوامل هي:

الأول: أنها كانت تتقن أربع لغات هي الفرنسية، والإنجليزية، والعربية، والتركية.

والثاني: إقامتها المتعددة في عدد من العواصم الأوروبية مع زوجها الذي كان وزيراً في الدولة العثمانية، وسفيراً لها في هذه العواصم.

والثالث: معرفتها الواسعة بكثير من العظماء والكبار في مصر والخارج، وتقديرهم لها، حتى إن السلطان عبد الحميد منحها وسام (شفقت) من الدرجة الأولى.

وفي أواخر القرن التاسع عشر كان لها صالونها الثقافي، ويعد أقدم صالون في العصر الحديث .. وكان كما يقول أنور الجندي: عملاً جريئاً في هذه الفترة أن تفتح سيدة ناديها لتستقبل الرجال الأعلام والوزراء والكبار، وأن تدير الحديث، وتعرض القضايا، فيكون الرأي الأغلب فيها وفق اتجاه الحضارة، لا وفق حاجة الأمة.

وممن كان يقصد هذا الصالون: الشيخ محمد عبده، و قاسم أمين، وسعد زغلول، وولي الدين يكن، وسليم سركيس .. وكان أغلب ما يثار في هذا الصالون: موضوعات دينية، وسياسية، واجتماعية .. كما كان يقصده بعض الأجانب.

وعن صاحبة الصالون كتب سليم سركيس «.. حضرت من مجالس الأميرة نازلي اجتماعاً كانت فيه مناظرة للروائي الإنجليزي (المستر هال كاين)، فسمعتها تجيد اللغة الإنجليزية إجادة لا محل لها للمزيد، وسمعت لها حجة قوية، ولساناً جريئاً في الحق، والدفاع عن الشرق والشرقيين، وكان لها اليد الطولى، والرأي المتبع في المشروعات العمومية والخيرية، وفي كل إعانة مصرية للدولة العثمانية».

وقل من نبغ من رجال مصر إلا ويذكر لها مآثرها، أو يعترف لها بنصيحة نافعة، وكانت متمسكة بالإسلام ، فقد قالت: «إننا ـ نحن المسلمين ـ لا نجاح

لنا إلا بالتمسك بالإسلام».

والصالون لم يكن يهتم بالأدب لاهتمامه بالموضوعات السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية، كما كان لصاحبته مساهمات في الأنشطة الاجتماعية.

ولا شك أنه ترك بصمات واضحة على رجال السياسة والفكر والدين .. وإن كنا نرى أن الأستاذ أنور الجندي. رحمه الله. قد جنح للمبالغة في تقييم هذا الصالون حين قال «ولعله . في هذا الصالون . وضعت سياسات مصر ، فقد وجه سعد زغلول منه إلى هذا المكان الذي تصدره في زعامة البلاد بعد ثورة 1919، واتخذ محمد عبده مكان الصدارة في الدعوة الدينية».

صالون مي زيادة (1889، 1931):

اسمها: ماري إلياس زخورة زيادة، ولدت في مدينة الناصرة بفلسطين في 11 من فبراير 1889 انتقلت مع والديها إلى لبنان، وتعلمت في مدرسة للراهبات .. وأثناء الحرب العالمية الأولى انتقلت مع أبويها إلى مصر، وكتبت في مجلة الزهور والهلال والمقتطف، وكانت أكثر كتاباتها في جريدة المحروسة التي آلت ملكيتها إلى أبيها.


مي زيادة

وزيادة على اللغة العربية كانت تتقن الفرنسية والإنجليزية، والإيطالية والألمانية، وغيرت اسمها إلى (مي زيادة) أو (مي) فقط .. وهذا هو الاسم الذي استقرت عليه بعد أن كانت تكتب من قبل بأسماء مستعارة .

وتعددت إبداعاتها، فزيادة على الشعر الذي كانت تنظمه بالفرنسية، وبابها الثابت الذي كانت تنشره في صحيفة المحروسة تحت عنوان (يوميات فتاة) صدر لها من الكتب: باحثة البادية، وعائشة التيمورية، وكلمات وإرشادات، وظلمات وأشعة، وسوانح فتاة، وبين المد والجزر، والصحائف والرسائل، ووردة اليازجي، والحب في العذاب، ورجوع الموجة، وابتسامات ودموع، ولها كتاب لم ينشر اسمه (ليالي العصفورية) . وأهم من كل أولئك أنها أقامت في بيتها صالوناً أدبياً كل يوم ثلاثاء، وقد غطت شهرته على شهرة جوانبها الإبداعية الكتابية، واستمر هذا الصالون الأدبي عشرين عاماً، من سنة 1911 حتى سنة 1931 .

وجمالها الفائق جعل كل هؤلاء . أو جلهم . يتعشقها، ويكتب فيها وعنها، فقد كانت . كما وصفها نقولا يوسف . بعد وفاتها بعشرين سنة «.. في رونق الشباب والمجد، آنسة أنيقة في الملبس، ساحرة الأنوثة، خفيفة الروح، غضة، بضة، شرقية السمات، سوداء العينين والشعر .. ومن عينيها يشع ذكاء نادر، وحزن مكبوت .. وأما ابتسامتها فتنفذ إلى القلوب، وحديثها المقرون بصوت حار رخيم كانت ترسله في أدب ولباقة، ومجاملة، فيظن محدثها أنه هو وحده من استأثر بقلبها».

وهذه العبارة الأخيرة تبرز طبيعتها . لا أقول في الشعور – ولكن أقول: في (الأشعار)، فقد كانت توهم كل من يقصدها بأنه حبيبها الوحيد الأثير، حتى مصطفى صادق الرافعي، الذي كان مصاباً بآفة مزمنة وهي الصمم.

فكل هؤلاء الكبار أحبوها، ولكن من الصعب، بل من المستحيل تعيين من منهم شغل قلبها دون غيره .. وتمضي السنين لتكشف أن قلبها لم يتسع إلا لواحد فقط هو جبران خليل جبران (1833 – 1931) رئيس الرابطة القلمية في المهجر الشمالي (أمريكا الشمالية)، لم ير أحدهما الآخر .. تحابا على الغيب بالمراسلة، وتواصلت بينهما الرسائل تحمل قطعاً رفيعة من الأدب، وشحنات متوهجة من الحب الرومانسي الوضيء، وكان موته بعد أبيها وأمها ثالثة القواصم في حياتها.

وتأسيساً على ما قرأنا وعرفنا من طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين مي والآخرين نرفض ما ذهب إليه محمد طاهر الجبلاوي من أن العقاد ومي كانا في موقف الحبيبين اللذين يتبادلان العاطفة، وكل منهما على صعيده، لا يلتقي بالآخر إلا على حذر .. ونرى (الجبلاوي) نفسه نقض حكمه «بالتبادل العاطفي» بعد الأسطر السابقة مباشرة بقوله «كان يداعبها فتقبل منه المداعبة البريئة ، فإذا تعدى هذه الحدود أشارت إليه ليقف عند حدوده».

ونحن لم نطلع على رسائل مي (للعقاد)، ولكننا قرأنا رسائله إليها، ورأيناه فيها «يقف عند حدوده»، وكلها مشغولة . إلى درجة التشبع . بمسائل متعددة في الأدب والنقد، لا الحب والمحبين، والألفة والألاف.

وعن الصالون وصاحبته كتب سليم سركيس : مساء كل ثلاثاء يتحول منزل إلياس أفندي زيادة صاحب جريدة المحروسة إلى منزل فخم في باريس، وتتحول الفتاة السورية التي لا تزال في العقد الثاني من عمرها إلى مدام دي ستايل، ومدام ريكاميه، وعائشة الباعونية، وولادة بنت المستكفي، ووردة اليازجي في شخص ومدارك الآنسة مي، ويتحول مجلسها إلى فرع من سوق عكاظ، وفرع من الفروع الأكاديمية، وتروج المباحث العلمية والفلسفية والأدبية.

ورواد الصالون من كبار الشعراء والأدباء والصحفيين والعلماء كانوا يتبادلون الحوار بينهم في شتى المسائل ، لساعات طويلة، ولم يقتصر دور مي على إدارة الجلسة، بل كانت . زيادة على ذلك . تدلي برأيها في كل ما يثار.

وكان لصالون مي آثار واضحة في حركة الأدب والنقد والمجتمع ، لعل من أهمها:

1 – كان التنافس على حب مي والظفر بقلبها سبباً من الأسباب التي أوقدت نار المعارك الأدبية بين بعض الأدباء حرصاً على إبراز قدرته في التصدي والتفوق والغلبة حتى يرتفع شأنهم في عين المحبوبة كفرسان العصور الوسطى، ولا ينسى التاريخ الأدبي تلك الحرب البشعة التي شنها الرافعي على العقاد في سلسلة مقالات نشرت في صحيفة (العصور) ثم جمعت بعد ذلك في كتاب باسم (على السفود) وعلى الغلاف رسم جسد سلك في سفود (أي سيخ من أسياخ الكباب)، وضع على نار موقدة، وتحتها كتب هذان البيتان:

وللسفود نار لو تلقت
بجاحمها حديداً ظن لحما
وتشوى الصخر تتركه رماداً
فكيف وقد رميتك فيه لحما ؟

2 – وكان هذا الصالون وصاحبته منبع إلهام للأدباء والشعراء، فهو الذي فجر طاقة مصطفى صادق الرافعي فقدم للعربية أشهر كتبه مثل : السحاب الأحمر، ورسائل الأحزان، وأوراق الورد .. كما كان وراء كثير من القصائد الغزلية . أو ذات الطابع الغزلي . التي نظمها العقاد، وولي الدين يكن، وإسماعيل صبري، وقد قال في إحدى قصائده:

روحي على بعض دور الحي هائمة
كظامئ الطير تواق إلى الماء

إن لم أمتع بمي ناظري غدًا
أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

3 - أحدث الصالون في الساحة الثقافية والأدبية المصرية ما يشبه الصدمة الكهربية : فبرزت أسماء لم تكن معروفة، وازداد المشهورون شهرة، وترسخ الأسلوب السليم لأدب الحوار والجدل، ومناقشة موضوعات متعددة فتحت العيون على نوعيات ومصادر ثقافية جديدة، وفتح عيون المرأة المصرية لإثبات وجودها، والتطلع لتحقيق مزيد من حقوقها . وعلى درب هذا الصالون انتشرت الصالونات الأدبية والثقافية بعد ذلك في القاهرة والإسكندرية، وبعض العواصم المصرية، وإن اختلفت الأسماء ما بين صالون، ومنتدى، وندوة، ولقاء، وملتقى.

بين صالونين:

صالون العقاد (1964.1889):

لا يختلف اثنان في أن العقاد كان ذا عقلية موسوعية متعددة المعارف، منهومة بالقراءة، وربما كان هو آخر الموسوعيين في الفكر العربي، أو المصري على الأقل .. لذلك كان غزير العطاء في شتى المجالات والمعارف الإنسانية من أدب، وسياسة، وتاريخ، ونقد، وفلسفة، حتى أربت كتبه على المائة، هذا غير آلاف من الفصول والمقالات، وعدد من دواوين الشعر.

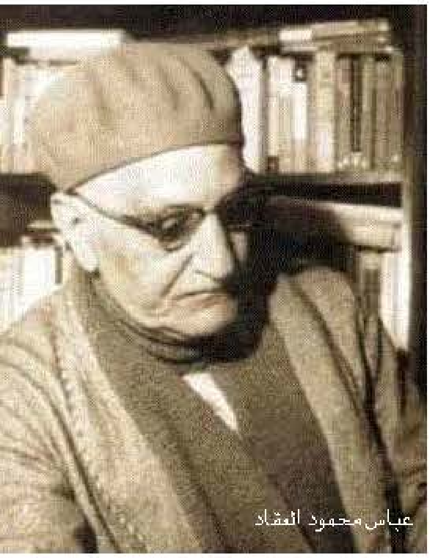
وكان صالون العقاد مصدراً آخر من مصادر العطاء على مدى عقدين من الزمان .. يعقد صباح كل جمعة ويمتد لعدة ساعات في مسكنه بمصر الجديدة .. حضره كثير من الشخصيات العربية، وكثير من تلاميذه ومريديه، وهو الذي لم ينل من الشهادات الدراسية إلا الشهادة الابتدائية .. ومن رواد هذا الصالون محمد خليفة التونسي، و أحمد إبراهيم الشريف، و محمد طاهر الجبلاوي، و عبد الفتاح الديدي، و أنيس منصور، وأحمد حمدي إمام، و عبد الحي دياب، و طاهر الطناحي، وعبد الرحمن صدقي، ونظمي لوقا، وصوفي عبد الله، والعوضي الوكيل.

وكان الصالون مفتوحاً بلا تقييد موضوعي، بمعنى أن المسائل التي تتناول تكون بنت ساعتها، وقد تكون ساعات الصالون كلها مستغرقة في إجابة سؤال واحد .. إلا أن فارس الصالون وقمته وقاضيه الوحيد هو العقاد نفسه، فحججه هي الأقوى، وشواهده جاهزة دائمة دامغة، ومريدوه يثقون بعلمه وثقافته وعظمته، وهذا لا يعني أنه كان المتكلم الوحيد، فالباب مفتوح لمن يريد الكلام، وفرق كبير بين المتكلم الوحيد، والقاضي الوحيد.

وهناك تنويعات موضوعية وفكرية فيما يدور .. فلسفة .. أدب .. تاريخ .. سياسة .. نقد .. وكان أوفى ما كتب عن الصالون هو كتاب أنيس منصور (في صالون العقاد كانت لنا أيام)، وقد جاء الكتاب في قرابة سبعمائة صفحة .. وكتب لأنيس منصور شهرة واسعة . ولا يستطيع باحث أن يكتب عن صالون العقاد دون الرجوع إلى هذا الكتاب، فمنه يستطيع القارئ أن يستخلص كثيراً من التضاريس الفكرية للعقاد، وعاداته، وتقاليده، ومنهجه في المناقشة والجدل .. ونجتزئ بالسطور الآتية لتبين مصداقية هذا الحكم: «كان من عادة الأستاذ أن يقول لنا وهو شديد الاقتناع، وعظيم الاطمئنان إلى كل النتائج التي وصل إليها بالعقل والتحليل والمنطق : ألم أقل لكم ذلك ؟ لقد أثبتت الأيام صحة ما ذهبت إليه . جاءك كلامي يا مولانا ؟ !

فقد كان من بين الحاضرين من يحب أن يعرف رأي الأستاذ في سير الحرب بين ألمانيا وأوروبا، وكان يحب أن يستمع إلى تعليقه على الأحداث . وكان الأستاذ يحب ذلك أيضاً. فنحن نعلم أن له رأياً معروفاً، فهو يعتقد : أن الحرب سوف تنتهي بهزيمة هتلر وموسيليني. تماماً كما انتهت بهزيمة نابليون قبل ذلك. ولنفس الأسباب. فهو يرى أن نابليون مثل هتلر : كلاهما يحارب ويهدم ويقتل، ولا يبشر بعقيدة أو دين ...»

لقد دخل العقاد التاريخ بمؤلفاته المتعددة الموضوعات التي كان لها منهج واضح يعتمد على أسس عقلية، وثقافة موسوعية واسعة المدى، كما دخل التاريخ كذلك بصالونه الذي يعتبر كتاباً ناطقاً معبراً عن تضاريسه النفسية وملامحه الشخصية ووجهته العاطفية في الحياة، ورأيه في الناس والزعامات والقادة، والمذاهب على اختلاف أنواعها.


عباس محمود العقاد

وكل ما سبق كان عرضاً لصالونات نساء ورجال فارقوا الحياة وتركوا بصماتهم واضحة في الفكر والمجتمع والأدب والعلوم الإنسانية. ولم يبق علينا إلا أن نتعرف على صالونات الأحياء ... بعضها لا كلها:

صالون تيمور :

في شارع الهرم بالجيزة يقوم صالون أدبي ثقافي شهير هو صالون الدكتور أحمد تيمور الأستاذ بكلية طب الأزهر، وزميل أبحاث جامعة Tufts الأمريكية، والخبير في مجمع اللغة العربية. وهو شاعر صدر له عدد من الدواوين منها : فلسطين يا وجع العالمين، وأيام الرسالة السبعة، والعصافير في زيها القاهري، وفي وصف أمريكا. زيادة على كتب علمية مشهور منها : دليل طبي للصحة والشباب. والصالون ثقافي أدبي، بدأ سنة 1987، وهو نصف شهري، يعقد مساء الأربعاء الأول والثالث في العاشرة مساء، وقد يمتد إلى الثانية صباحاً، ومن أهم أهدافه المعلنة هدفان : الأول : تحقيق التنوير بمفهومه الأصيل السديد الذي يسترفد الماضي والحاضر . الثاني : الاعتماد على التجريب الداخلي، وإشباع الأنواع الأدبية والثقافية المظلومة التي لا تنال من الآخرين كثيراً من الاهتمام. وقد رأيت بنفسي مصداقية العمل الناشط في هذا الصالون والمتابعة الجادة لتحقيق الأهداف المعلنة في صورة عملية حقيقية. ويستضيف الصالون في الأمسية علماً من أعلام الشعر أو الأدب والنقد أو الثقافة السياسية أو الاقتصادية أو العلمية التجريبية متحدثاً عن مشواره وتجاربه في حياته ومع تخصصه . ومن الموضوعات التي عالجها الصالون : مكان الشعر في مجتمعات التقنية - الحداثة وما بعد الحداثة - الصحافة الحزبية - الدراما التلفازية - العولمة - الاستنساخ . وأحياناً يقدم في الصالون لوحات تشكيلية، ومعزوفات موسيقية، ومشاهد تمثيلية.

ويحضر الصالون عدد كبير من الإعلاميين والصحفيين وأساتذة الجامعة والفنانين التشكيليين منهم د. أحمد يوسف القرعي، و حمدي الكنيسي، ودكتور نادر الطويل، وفؤاد قنديل، و محمد حجي، و محمود الهندي، وإسماعيل إمام، وغيرهم . وما زال الصالون يقدم عطاءاته بانتظام، وتقدم مطرد.

صالون الوسطية:

هو الصالون الذي أقامه ويرعاه أستاذ عالم جليل فاضل هو الدكتور عبد الحميد إبراهيم أستاذ الأدب والنقد في الجامعات المصرية والعربية .. وقد قام هذا الصالون انبثاقاً من (جماعة الوسطية) التي دعا إليها وشكلها ورعاها الدكتور عبد الحميد .. ويتسم هذا الصالون بملامح أربعة فارقة

: الأول : أنه قام على (نظرية) يتبناها، ويشرح أبعادها ويدعو إليها .. هي نظرية (الوسطية)، وهي تنطلق من مرتكزاتنا الإسلامية والعربية الأصيلة، وهي تعني - في إيجاز مقطر - التزام حد الاعتدال والموضوعية، وتجنب الغلو والتطرف في شتى مجالات الحياة فكراً وتعبداً، وسياسة، واقتصاداً، وأدباً ونقداً وسلوكاً. وقد شرح الأستاذ أبعاد هذه النظرية في كتاب ضخم من تسعة أجزاء.

والملمح الثاني: صدور مجلة فصلية عن الصالون باسم (التأصيل) ثم غير اسمها إلى (مجلة الوسطية).

والملمح الثالث: إصدار عدد من الكتب باسم (إصدارات الوسطية) وهي كتب صغيرة للشباب تشرح أبعاد الوسطية والأصالة.

والملمح الرابع: رصد جوائز مالية متجددة لبحوث يكتبها الشباب حول ما يتبناه الصالون من قيم ومبادئ.

والصالون يقام في منزل راعيه بمدينة نصر ب القاهرة في مساء السبت الأول من كل شهر، ولما كثر رواده انتقل إلى متحف محمد محمود خليل ب الجيزة.

ومن الموضوعات التي أثيرت من قبل، ونوقشت في الصالون : ما يسمى بقصيدة النثر: وقفة وتقييم - الفنون التشكيلية بين الأصالة والمعاصرة. البحث عن هوية - مصر والعالم العربي - الحضارة العربية بين الثبات والتغير - الوسطية العربية : حاضرها ومستقبلها.

ومن طموحات راعي الصالون : أن يعقد الصالون أسبوعياً، وتوسيع القاعدة بإنشاء صالونات في الأقاليم تتبنى الأصالة والوسطية . ومن حضور هذا الصالون شخصيات عربية وإسلامية منهم : د. عبد الولي الشميري، ودكتور عبد العزيز حمودة، والشاعر عبد المنعم عواد يوسف، والدكتورة ثريا العسيلي، والدكتور سيد قطب، ومصطفى أغا ويعقوب شيحا، والشاعر محمد يونس.

صالون الرابطة الإسلامية:

وهو من أقدم الصالونات في القاهرة، فعمره يتجاوز الثلاثين عاماً، وقد توالى على رياسته، ورعايته الدكتور أحمد الشرباصي، فالأستاذ قاسم مظهر، ثم الأستاذ أحمد يوسف، ثم الأستاذ ربيع الغزالي، ثم الأستاذ إبراهيم إمام، ثم الفنان الشاعر محمد وجدي شبانة، وهؤلاء جميعاً توفاهم الله، واختير لرياسة الصالون الأستاذ الشاعر محمد يونس.

ومقر الصالون 4 شارع صبري أبو علم بالقاهرة، ويعقد في مساء الأحد من كل أسبوع. وقد أعطى الأستاذ محمد يونس ومازال يعطي هذا الصالون دفقات طيبة من الشباب والحيوية والحماسة والتجديد.

ونلاحظ بمعايشتنا لأنشطة هذا الصالون.

1. الاهتمام بالشعر أكثر من الأجناس الأدبية الأخرى.

2. الاهتمام بصفة أخص بالشعر الإسلامي، وشعر المقاومة والجهاد .

3. الاهتمام بالشعراء الشباب وتشجيعهم.

4. بجانب شعر الفصحى وسع الصالون شعر العامية، وأحيانًا يقدم في الصالون قطعاً موسيقية ومشاهد تمثيلية.

ومن رواد الصالون الناقد الكبير محمد شرشر، والناقد الشاعر مصطفى عبد الوهاب .. ومن الشعراء : مدحت قاسم ، وعلى محسب، وخميس عطية، وسيد علي، وصلاح عفيفي، و الشيخ أمين الديب.

صالون الفجر:

صالون أدبي أقامه بعض الأدباء الشباب في سبتمبر سنة 1977 انشقاقاً من ندوة (القباني) الأدبية التي كانت تقام بكازينو الجزيرة بالمنيل بالقاهرة منذ الستينيات . ومن مؤسسي صالون الفجر الأساتذة أحمد سويلم، وعبد العال الحمامصي ومحمد أبو دومة، ومحمد مستجاب، ومحمد السيد عيد، وادريس علي، وغيرهم، والتحق بالصالون بعد ذلك أساتذة جامعيون، وشخصيات أكاديمية منهم د. مرعي مدكور، د. مدحت الجيار، د. شاكر عبد الحميد، د. شمس الدين الحجاجي.

كما يحضر الصالون عدد كبير من خارج القاهرة للمشاركة في أنشطة الصالون مثل الأساتذة : حجاج الباي، وفتحي التايه، وسمير الفيل، ومحمد العتر، وتتمثل أنشطة الصالون فيما يأتي :

1 - الورشة الأدبية التي يقدم فيها الأديب الشاب عمله الجديد، فيناقشه الحاضرون بكل صراحة وأمانة، دون حرج أو مجاملة، ودون تهاون أو تطرف.

2 - إصدار مطبوعات الفجر في الكتب الأولى (الإبداع الأول للشبان) مثل القاصين إدريس علي، وحسن نور، وليلى محمد علي وعزت زايد وآخرين، كما نشرت كتباً للأعضاء الذين صدرت لهم كتب من قبل، مثل د. يسري العزب، ونجدي إبراهيم، ومنتصر ثابت من الفيوم) .. وبلغت إصدارات الصالون من الكتب تسعة عشر كتاباً حتى كتابة هذه السطور .

3 - إصدار مجلة باسم (الفجر) ، وصدر العدد الأول في الثمانينيات من 16 صفحة بطريقة (الماستر) .. وصدر العدد الثاني مطبوعاً طباعة فاخرة في أكثر من مائة صفحة سنة 1998 ، وتوالى صدور الأعداد ، عدداً كل شهرين حتى بلغت عشرة ثم كان التوقف لضيق ذات اليد .. وإن بدأ أعضاء الصالون يعدون العدة لإصدار العدد الحادي عشر بجهودهم الذاتية كالعادة.

والصالون يرأسه، ويرعاه الأستاذ الجامعي الشاعر الناقد الدكتور يسري العزب، ويعقد مساء كل جمعة، بنادي الجيزة الرياضي على شاطئ النيل .

ومن محامد هذا الصالون أنه يستقبل الأشقاء العرب من الأدباء والنقاد والمثقفين، ويقيم لقاءات معهم/ومن هؤلاء: الشاعر والناقد البحريني الدكتور علوي الهاشمي، الشاعر الكويتي الدكتور خليفة الوقيان، والقاص الناقد الكويتي الدكتور سليمان الشطي، والشاعر التونسي المنصف المزغني، والشعراء الفلسطينيون آمال الشرقاوي، ومصطفى الأغا، وعبد البديع عراق، كما اتسعت مجلة الفجر لنشر إبداعات كثير منهم.

صالون مشَخَص وهو صالون كان يقيمه الأخ السعودي الأستاذ الأديب عبد الحميد مشخص ابتداءً من أوائل السبعينيات في مسكنه بالدقي بالجيزة، وكان يعقد مساء كل يوم جمعة بعيد المغرب، ويستمر قرابة أربع ساعات، وقد كنت حريصاً على حضور هذا الصالون الذي كان من رواده الأساتذة طاهر أبو فاشا، والشاعر عبد العليم عيسى رحمهما الله، والشاعر محمد التهامي، والأديب أحمد حمدي إمام، والأستاذ محمد منير عبد اللطيف صاحب مكتبة الملك فيصل، وكثير من (العقاديين).

وكان راعي الصالون موسوعة في تاريخ المملكة وتفاصيل حياة الملك عبد العزيز، وقد زار هذا الصالون عدد من الأدباء والشعراء العرب والسعوديين، منهم الأساتذة حسين قاضي، ومحمود عارف، وعبد العزيز الربيع .

وكان الصالون يعتمد على النقاش الحر، دون التقيد بموضوع معد سلفاً. وكثيراً ما كان الأستاذ طاهر أبو فاشا يمتعنا بشعره الخاص (الذي لم ينشر) والذي يمثل أيام (شقاوته) في سني الطلب.

وأكرر القول أن الساحة الأدبية والثقافية فيها من الصالونات أكثر مما ذكرته بكثير : في القاهرة والإسكندرية والمنصورة .. وغيرها، وقد يكون لنا معها وقفة أو وقفات في المستقبل القريب إن شاء الله.

كوكوشكا.. نقطة التقاء مدارس فنية عديدة

- فنان نمساوي شامل يرسم ويكتب الشعر
- تأثيرات فان جوخ هيمنت على بعض أعماله الأولية
- ينجز عمله العظيم (مأساة بروميثيوس) في لندن
- باروخ ليشت: كوكوشكا وضع نواة إبداعية للتكعيبية
- نولده: كوكوشكا ثمرة فاكهة في لحية فان جوخ
- كوكوشكا يفر من النازية حتى تنتهي الحرب العالمية الثانية

(ربما لم يمت في الفن الجنون وربما تحيا بالفن العبقرية وربما أيضاً يكون الفن هو كل ما يبقى مني أو من أي فنان لذا سوف نبقى.
اطمئني إذاً حبيبتي إننا سوف نبقى حيث نحن حيث آفاق اللامحدود وبعيداً عن سجون الفكرة ومعتقلات الجسد.
إذن سوف تبقين يا ليلي رغم كل الموت الذي عبر بك إلى حدائق العظام واطعم بخلاياكي زهور الجبانات
لأن فني سوف يبقى سوف تبقين يا ليلي .... لأن ألواني سوف تبقى سوف تعود الدماء تضخ في عروقك من جديد بلون حمرة ألواني.
أنا أقاوم موتك بالفن .... لتحيا ليلي وتحيا ريشتي النازفة والدامعة فوق قبر ليلي الحبيبة)



في مفاجأة أذهلت محبي الفن في فينا وفي جرأة غير مسبوقة نشرت صحيفة بورتريه الفنية النمساوية جزءاً نادراً من مجموعة قصائد كان قد كتبها الفنان العظيم الذي والحق يقال لم يأخذ حقه من الدعاية الإعلانية ولا ذكره التاريخ عشر ما ذكر فنانين شديدي الضعف والتواضع بالنسبة له وهو الفنان النمساوي الجميل أوسكار كوكوشكا والذي قد يكون اسمه غريباً على معظم قراء المنطقة العربية بالرغم أن هناك فنانين عرباً تتلمذوا على يديه أو على الأقل نهلوا من أسلوبه المتدفق بالحركة والتعبير ومن طبقاته اللونية التي جعلت منه حالة وسطى بين الانطباعية والتعبيرية بل والتجريدية أو قل جعلت منه ملتقى ثلاث مدارس كبيرة حيث خلقت نقطة الالتقاء الذي عبر عنها أسلوب كوكوشكا مما جعل منه مدرسة جديدة مستقلة بذاتها حيث كان كوكوشكا مرحلة انتقالية ومكتملة في نفس الوقت بين أساليب عدة مثله مثل الهولندي الخالد فان جوخ ونقول جوخ بالتحديد لتقارب الوشائج التكنيكية بينهما كما سوف نذكر بالتفصيل فيما بعد.

المفاجأة التي أطلقتها صحيفة (بورتريه) المعنية بشؤون الفن التشكيلي في فينا هي أنها نشرت مجموعة من القصائد الجديدة للرسام العظيم أوسكار كوكوشكا والذي اشتهر أيضاً بكونه شاعراً وكاتباً مسرحياً بجانب أنه فنان تشكيلي كبير ينتمي إلى المدرسة التعبيرية. وهذه القصائد لم تنشر قبل ذلك فهي مخطوطات أولية وبعضها قصائد لم تكتمل مثل (زهور فوق باب ألما) كما كشف البعض الآخر عن دقائق خفية في حياة كوكوشكا مثل قصيدة (مرثية لونيه لليلي) والتي أزاحت الستار عن علاقة حب قوية لإحدى الممرضات النمساويات وتدعى ليلي شليكماين حيث تعرف عليها في المستشفى الميداني حينما أصيب أثناء خدمته في الجيش النمساوي أثناء الحرب العالمية الأولى حيث نشأت بينهما قصة حب عنيفة لكنها انتهت نهاية مأساوية حيث أصيبت ليلي بطلق ناري في فخذها وأصيبت بالغارغرينا ومن ثم ماتت وكانت بالتحديد قصيدته (مرثية لونيه لليلي) والتي كتبها كوكوشكا بعد موت ليلي بعشر سنوات هي القصيدة التي جعلت القراء يتابعون قراءة القصائد الجديدة أسبوعاً بعد أسبوع حيث كانت تمر في أجواء عشق وفن عالية الشفافية.

وكوكوشكا الذي لم يعرفه الكثيرون كان سراً شديد التعقيد ولغزاً حير النقاد وكتاب السير الذاتية فقد كانت حياته ملتبسة ومتضاربة الأحداث حيث كان رحالاً ومتمرداً وطريداً إذا جاز التعبير حيث ولد أوسكار كوكوشكا في بوشلارن في الأول من آذار/مارس عام 1886 في النمسا لأب يهودي نمساوي وأم


لوحة عروس الريح إحدى لوحات كوكوشكا


لوحة أمستردام إحدى لوحات كوكوشكا قام برسمها في عام 1925

مسيحية ذات أصول تشيكية ودرس الفن على يد أساتذة محترفين مثل شيمبروسكو وكانت باكورة إنتاجه الشديدة التميز لوحته الشهيرة (احتفالات فينيسيا) التي تعتبر تعبيراً شديداً عن ميوله الانطباعية في بداية مشواره الفني والذي كما قلنا تغلب على أحادية الرؤية لديه وخلطها بخلطة عالية التحوير حتى أن بعض النقاد النمساويين مثل باكوس ماورا يعتبرها أسلوباً خاصا ويطلق عليه الـ (الكوكواشكيزم) نسبة إلى كوكوشكا.

وحيث نجد أنه في بداية حياته الفنية كان ذا ميول انطباعية كما أسلفنا فإننا نجد أن هذا الفنان المبدع والمطور قد تسلق في البداية فان جوخ وفرض نفسه كثمرة ناضجة نبتت في لحية جوخ كما يصفه الفنان النمساوي نولده فنحن نجد أن رائحة جوخ تفوح من أصباغ كوكوشكا بشكل دائم في بداية حياته وحتى فترة النضج وبعدها أيضاً لم يتخلص تماماً من هيمنة جوخ عليه فمثلاً في لوحته الشهيرة (تأمل) نجد أن فان جوخ يكاد يقفز من بين الألوان لدرجة أن معظم النقاد يؤكدون انه من شدة تأثير جوخ في هذه اللوحة تبدو وكأنها بورتريه لفان جوخ حيث يشبه موديل اللوحة جوخ كثيراً وما يقال على هذه اللوحة يقال أيضاً على لوحته الأخرى (رجل يقرأ) والتي تعتبر من سمات النضج التي صعد عليها كوكوشكا حيث قدم لنا رؤيا مغايرة ومتمازجة أيضاً مع رؤى فان جوخ.

لكن كوكوشكا في طفرة جريئة تماهى بريشته مع تقنية جديدة يثار فيها الجدل كثيراً وهي تبدو بوضوح في لوحته الشهيرة أيضاً (شاب يلبس كنزة) وهذه التقنية التي يؤكد الجميع أن بدايتها كوكوشكا تبدو في استخدام تموجات حركة الفرشاة في ضربات متنافرة ومع تمييع لوني متعمد لإظهار جزء من ملامح الضوء والظل وتبدو بوضوح في هذه اللوحة في المعالجة التي عالج بها كوكوشكا كنزة الشاب حيث استخدم فيها هذه التقنية ويعزو الكثير من النقاد إلى هذه التقنية بداية التكعيبية وهذا بالطبع مجرد رأي فعلى حين يرى البرت جاسان الناقد الفرنسي أنها لا تعدو أن تكون بعض رواسب فان جوخ التي لم يستطع كوكوشكا أن يتخلص منها كلية، يراها باروخ ليشت أنها بداية أو نواة استلهمها بيكاسو لتكون بنية لتكعيبيته الشهيرة.

إذن عبقرية كوكوشكا كانت دائماً ومازالت محل التباس وغموض نقدي.

وعلى حين نرى في كوكوشكا حارساً لبعض تراث فان جوخ التكنيكي نراه في مرات أخرى يتقلب بين الكثير من الأساليب المختلطة التي قد تستخدم حتى الكلاسيكية في بعض الأحيان ويبدو ذلك بكل قوة في لوحته الشهيرة (بورتريه مزدوج لترودي) حيث نبدو نفس الموديل هنا مكررة في نفس اللوحة في وضيعتين مختلفتين ونجد أن كوكوشكا يقترب من أسلوب البورتريه في المدارس الحديثة لكنه أيضاً يسير في خطوط متقاطعة مع أساليب فرد اللون في المدارس الكلاسيكية حيث يطلق عليه أحياناً باروخ ليشت (يعيش مراحل مراهقة لونية)

وكما كان فن كوكوشكا متأرجحا بين الأساليب المختلفة مع عدم انتفاء الأصالة عنه وثبوت مشروعه الإبداعي الخاص كانت حياة أوسكار كوكوشكا أيضاً متلاطمة كموج البحر حيث خدعته بزة الجنود في أثناء الحرب العالمية الأولى فخدم تحت لواء الجيش النمساوي حيث عاش أول قصص الحب الملتهبة في حياته فوقع في غرام ليلي شليكماين كما ذكرنا ثم ما لبث أن اكتشف لاإنسانية الحرب والتي عايشها بعد ذلك بشكل مفجع في أثناء الحرب العالمية الثانية كمدني مطارد حيث كان مثله مثل معظم الفنانين النمساويين وخاصة ذوي الأصول اليهودية والذين كانوا مستهدفين من قبل الحكم النازي بقيادة أودلف هتلر حيث فر كوكوشكا إلى براغ بعد اجتياح الجيش النازي للنمسا عام 1934 حتى زحفت عليها قوات النازي أيضاً ففر مرة أخرى إلى لندن وبقي هناك حتى انتهت الحرب وهناك أنجز جداريته الشهيرة (مأساة بروميثيوس) والتي نفذها في قصر الثري النمساوي أنطوني سيلرن.

وفي عام 1947 حصل كوكوشكا على المواطنة الإنجليزية حيث لم ترد إليه جنسيته النمساوية إلا عام 1978 وفي أواخر الأربعينيات سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث عاد واستقر في سويسرا بقية حياته إلى أن توفي في 22 شباط/ فبراير 1980 في مونتروس في سويسرا.

المذهب التعبيري

التعبيرية مذهب الفن يستهدف، في المقام الأول، التعبير عن المشاعر أو العواطف والحالات الذهنية التي تثيرها الأشياء أو الأحداث في نفس الفنان، ويرفض مبدأ المحاكاة الأرسطية، تحذف صُوَر العالم الحقيقي بحيث تتلاءم مع هذه المشاعر والعواطف والحالات، وذلك من طريق تكثيف الألوان، وتشويه الأشكال، واصطناع الخطوط القوية والمُغايَرات المثيرة- أشار الناقد جيرالد ويلز بأن المذهب التعبيري هو أكثر مذهب فني متأثر بالذاتية المفرطة، وترتبط التعبيرية بالفن الألماني في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، على الرغم من أن ملامحها تتبدّى في بعض الأعمال الفنية التي ترقى إلى العصر الوسيط، من أشهر ممثليها في الرسم فان جوخ في مرحلة من مراحل حياته الفنية وكوكوشكا، وفي المسرح كايزر وبرخت ويوجين أونيل، وفي الموسيقى ريتشارد شتراوس.

هؤلاء غيروا حياة البشرية

مما لا شك فيه أن الكثير من مستخدمي الإنترنت يدخلون إلى موقع جوجل والفايسبوك ويحملون متصفح موزيلا فايرفوكس ولكن لا يعرفون الأشخاص وراء هذه المواقع المشهورة العالمية التي غيرت مجرى العالم وحياة البشرية وأقدم لكم تعاريف بسيطة عن هذه الشخصيات المشهورة.



قد يخبرك البعض بأنهم يبذلون مجهود كبير ليصلوا لمنزله عالية على الإنترنت، لكن من يحققون أعلى أرباح من الإنترنت هم من قاموا باختراع أجزاء منه وما كان الإنترنت سيصبح متداول بهذه الصورة حتى الآن لولا هؤلاء الرجال، أثروا بأفكارهم التي أصبحت صروح كبيرة فى عالم الإنترنت.

في عام 1997 ظهرت المدونات على يد جون بارغر، وهي سهلة الإنشاء، فلا تحتاج لكبير معرفة أو خبرة بلغات البرمجة، فهناك الكثير من القوالب الجاهزة المساعدة في الإنشاء والتصميم، ويمكن للمدون التدوين في أي وقت شاء من ليل أو نهار، ومن أي مكان كان فيه، كل ما يحتاجه جهاز وشبكة وفكر فقط.

في عام في عام 2004، أطلق الأمريكي مارك جوكربيرج الطالب في جامعة هافارد موقع الفيس بوك، وكانت عضوية الموقع مقتصرة في بداية الأمر على طلبة جامعة هارفارد، ولكنها امتدت بعد ذلك لتشمل الكليات الأخرى في مدينة بوسطن وجامعة آيفي ليج وجامعة ستانفورد، ثم اتسعت دائرة الموقع لتشمل أي طالب جامعي، ثم طلبة المدارس الثانوية، وأخيراً أي شخص يبلغ من العمر 13 عاماً فأكثر، يضم الموقع حالياً أكثر من 750 مليون مستخدم على مستوى العالم.

في عام 2005 أسس جاويد كريم من بنجلاديش مع زميليه الأمريكيين تشاد هورلي وستيف تشين موقع اليوتيوب ومن المعلوم أن موقع يوتيوب هو أكبر موقع في العالم يختص بالفيديو وتحميله ومشاهدته على الإنترنت، ونقطة قوة هذا الموقع حجم الجمهور الموجود وعدد المقاطع المحملة وجاء كل هذا نتيجة التقنية العالية الموجودة من حيث تحويل الفيديو إلى حجم أقل يسهل تحميله على الإنترنت مع الحفاظ على جودته، وهو حالياً مزود بـ 67 موظف، في أكتوبر 2006 أعلنت شركة Google الوصول لاتفاقية لشراء الموقع مقابل 1.65 مليار دولار أمريكي، أي ما يعادل 1.31 مليار يورو، وهو يعتبر من مواقع ويب 2.0.

اختارت مجلة (تايم) الأمريكية موقع يوتيوب على الإنترنت رجل عام 2006 لدوره في إعطاء الفرصة لزواره في إنتاج المواد التي يعرضونها في الموقع.

لاري بايج وسيرجي برين اخترعا جوجل عندما كان كانا طالبين بجامعة (ستانفورد)، وكان عمرهما 24 عام، وقد كان الجراج هو أول مكتب عمل لهم وقد اعتبرهم الشباب ملهمين لهم لتحقيق أرباح من الإنترنت، في بادئ الأمر تم تأسيس الشركة في الرابع من أيلول/سبتمبر عام 1998 كشركة خاصة ملك لعدد قليل من الأشخاص، وفي التاسع عشر من آب/أغسطس عام 2004.

جيري يانج وديفيد فايلو أسسا الياهو عام 1995 عندما كان عمر جيري 26 عام وديفيد 28 عام، وهو محرك البحث الأقرب لجوجل، وقد عرضت ميكروسوفت 44.6 بليون دولار أمريكي لشراء الياهو، وأعلنت كشركة رسميا في 2 آذار/مارس 1995، ومقرها الرئيسي في سانيفال بولاية كاليفورنيا، في وادي السيليكون.

مات ميلينواج اخترع مدونة الووردبريس عندما كان عمره 19 عام الذي تطور بحرفية عام 2005 وبدء الناس في التغيير إليه بسهوله وأكثروا من استعماله للتحسينات المستمرة فيه لسهولة استخدامه وتجديد محتواه.

توم أندرسون أسس MySpace عندما كان عمره 23 سنه ويستعمل هذه الشبكه أكثر من 100 مليون مستخدم، وهو قد لايعتبر غني اذا قورن بـ مارك لكنه مخترع الشبكه الاجتماعيه الأكثر استخداماً على الإنترنت، وطبقاً لموقع أليكسا إنترنت يعد موقع ماي سبيس هو سادس أكثر مواقع الوب الإنكليزية شعبية في العالم، وسادس أكثر مواقع الوب المكتوبة بأي لغة في العالم شعبية، كما أنه يعد ثالث أكثر المواقع شعبية على الإطلاق في الولايات المتحدة.

بيير أوميديار اخترع الـ E.Bay وهو بعمر 28 سنه وهو أكبر مزاد عالمي على الإنترنت وقد قدر الناس هذا الاختراع وقد انتفع به العالم كثيراً، تم إطلاق الموقع عام 1995 وكان اسمه Auction-web تم تغيره إلى ebay لاحقاً بعد أن تطور الموقع، استطاع بيع أول سيارة عن طريقه عام 1996، ويصل حجم أعمال الموقع اليوم 40 مليار دولار.

لاك روس أسس الموزيلا Mozilla وهو بعمر 19 عاماً، ومنذ ذلك الحين أصبح الكثير يستعملون الموزيلا فايرفوكس كمتصفح أسهل من كثير من المتصفحات الأخرى.

كيفن روز قام بتأسيس Digg وهو بعمر 27 عام وقد استضيف هذا الرجل وتحدث في بعض برامج التلفاز.

جاك دورسي هو مبرمج كمبيوتر من مواليد 19 نوفمبر 1976، ولد في سانت لويس بولاية ميسوري، أصبح دورسي مهتما في الكومبيوتر والاتصالات في سن مبكر، وبدأ البرمجة عندما كان لا يزال طالباً في مدرسة بيشوب ديبورج عندما كان عمره 15 عاما، اخترع برنامجاً لا يزال يستخدمه بعض مكاتب سيارات الأجرة نظراً لشغفه وولعه بالسيارات، بعد الفترة القصيرة التي قضاها في جامعة ميسوري للعلوم والتكنولوجيا، انتقل دورسي إلى جامعة نيويورك، تم استبعاده من الجامعة قبل أن يحصل على شهادته انتقل دورسي إلى أوكلاند، كاليفورنيا، وبدأ عام 2000 تقديم برامج له من خلال شبكة الانترنت، بعد وقت قصير من بدء شركته، جاءت لدورسي فكرة لموقع التي من شأنها أن تجمع بين سهولة الرسائل الفورية والبساطة، ودعى المدير التنفيذي السابق لشركة الفيديو فالي يدعى (أوديو) فتطورت الفكرة إلى إنشاء موقع تويتر، في غضون أسبوعين، بنى دورسي موقع بسيط حيث يمكن للمستخدمين نشر رسائل قصيرة على الفور من 140 حرفاً أو أقل، وعرفت باسم (تويت) أو التغريدة.

في 21 آذار/مارس 2006، نشر جاك دورسي التغريدة الأولى في العالم: «أنا أشغلّ التويتر الخاص بي».

مدرج الكولوسيوم

المتعة في مواجهة الموت!

لطالما كانت الأساطير التاريخية ذات وقع خاص على عاطفة الإنسان. فكيف إذا ارتبطت الأسطورة بمكان صامد لأكثر من ألفي سنة مخلفة وراءها أحجارا تكاد تنطق، رواية حكايات عما مرّ عليها من غزاة صنعوا التاريخ. تقول الأسطورة «مادام الكولوسيوم حيّا ستبقى روما حيّة. وحين تسقط روما سيسقط العالم بأسره»



تقول الأسطورة: مادام الكولوسيوم قائماً ستبقى روما قائمة وحين تسقط روما سيسقط العالم بأسره. شيد هذا المبنى الضخم على شكل مدرج ومسرح نصف دائري في وسط العاصمة الايطالية منذ ألفي سنة كأكبر شاهد على عظمة العالم القديم والإمبراطورية الرومانية.

الكولوسيوم أو مدرج فلافيان، وهو بيضاوي الشكل ويقع في وسط مدينة روما ، إيطاليا ، وهو أكبر مبنى في الإمبراطورية الرومانية. فهو يعتبر واحداً من أعظم أعمال الهندسة المعمارية الرومانية والهندسة الرومانية .

شيد هذا المبنى الضخم على شكل مدرج ومسرح نصف دائري في وسط العاصمة الايطالية منذ ألفي سنة كأكبر شاهد على عظمة العالم القديم والإمبراطورية الرومانية. حين تتجول هذه الأيام في أروقة الكولوسيوم تحس وكأن الأحجار تتكلم وتخاطبك الآثار بما مر عليها من غزاة صنعوا التاريخ. ورأيت البعض يقرأ في ساعة الغروب كتاب مرغريت يورسينار «مذكرات الإمبراطور أدريانو» الذي انتصر على الملكة زنوبيا في تدمر بسورية. وتذكرت موسيقى «صنوبر روما» للموسيقار رسبيغي تصور جحافل جيوش الرومان تتقدم في الشرق والغرب لتقيم أضخم إمبراطورية في الزمن القديم

وربما كان مارش النصر من أوبرا (عايدة) لفردي أنسب قطعة نستمع إليها تحت قوس قسطنطين المجاور. يعتبر الكولوسيوم تحفة هندسية لفن العمارة بمحيط دائرة تصل إلى 52 متراً واستعمل فيه الحجر الجيري. وهو مؤلف من أربعة طوابق يحمل الطابق الأول أعمدة من النوع الدوري (وهو أبسط وأقدم نوع من الأعمدة في الهندسة المعمارية الإغريقية) ويليه طابق تحمله أعمدة من النوع الأيوني (نسبة إلى أيونيا اليونانية) ثم ترى الطابق الثالث تحمله أعمدة من النوع الكورنثي (نسبة إلى كورنث في اليونان التي اشتهرت قديماً بالترف والتهتك وتزدان تيجان الأعمدة بزخارف تشبه أوراق الأشجار) وله ثمانون مدخلاً مثل ملاعب المدن الرياضية الحديثة أما داخله فينقسم إلى ثلاثة أقسام: . المسرح المدور أو مكان التنافس، والمنصة العالية، ومقاعد المتفرجين.

وتنقسم حسب طبقاتهم من الأشراف وأعضاء مجلس الشيوخ وبقية أفراد الشعب.

وقد انتبه الرومان منذ ذلك الوقت إلى ضرورة السيطرة على مواطنيهم بتوفير الخبز وتسليتهم بالرياضة. وقد أقيم المدرج بالقرب من دار الإمبراطور نيرون الذي أحرق روما كتعويض لأهلها عن الضيم الذي لحق بهم بعد مصادرة نيرون لأرضهم وسمي الكولوسيوم نسبة إلى تمثال نيرون البرونزي الضخم في شكل اله الشمس وارتفاعه 38 متراً، والذي كان منتصباً بالقرب من المدرج في أول شارع النصر (أو المنصة الإمبراطورية الآن) بعد أن جره 12 فيلاً لإقامته في ذلك الموقع وبني بالقرب منه قوس قسطنطين عام 315 بعد الميلاد تكريما لنصر الإمبراطور الذي بني القسطنطينية والذي قلده الفرنسيون في قوس النصر بباريس، وتم تحطيم التمثال في القرن السادس بأمر من البابا غريغوري الكبير حين تنصرت روما ورداً على اضطهاد المسيحيين ثم إجبارهم على مصارعة الأسود.

بدأ إنشاء الكولوسيوم عام 72 بعد الميلاد تحت حكم الإمبراطور فيسباسيان وتم الانتهاء منه بشكل أساسي سنة 80 في عهد تيتوس، ولكن تمت بعض التغييرات الإضافية في عهد دوميتيان.

دشنه الإمبراطور تيتوس الذي هدم المعبد في القدس بعد 8 سنوات من البناء فأقيمت فيه الألعاب الرياضية لمدة مائة يوم قتل خلالها خمسة آلاف حيوان مفترس ونصب البحارة خياماً وأشرعة على

سقفه لحجب ضياء الشمس القوية عن المتفرجين أما الآن فيتوافد عليه السياح من كافة بقاع الأرض ويقضون ساعات طويلة من دون غطاء يحميهم من أشعة الشمس الحارقة، خلال موجة الحر الشديد لكن ذلك لم يمنع البعض من إقامة حفلات الزواج والتقاط الصور التذكارية في بهو المدرج، أو مكان صراع العبيد أو الأسرى أو المارقين مع الوحوش الضارية.

ومنذ تاريخ البدء في البناء وحتى الوقت الحاضر مر المبنى بالعديد من التطورات من حيث الاستعمال وأيضاً شكل المبنى معمارياً فقد كان يعتقد أن الساحة كانت مغطاة بقبة سماوية كبيرة، ويعد المبنى أشهر مثال للمسارح الرومانية على هذه الشاكلة والتي تتميز بكونها كاملة الاستدارة أو بيضاوية تماماً، وظل المبنى مستخدماً لمده تقرب من 500 عام وسجلت آخر ألعاب أقيمت فيه في القرن السادس، بعد التاريخ التقليدي الذي يعتقد سقوط روما فيه وهو عام 476، كان طول محيطه يبلغ 527 متراً، وارتفاعه 50 متراً، واستعمل فيه الحجر الجيري، وكان يتسع لخمسين ألفاً من المتفرجين، الذين كانوا يقصدونه لمشاهدة أكثر العروض إثارة، كالمصارعة، ومطاردة الحيوانات المفترسة، بل وبعض المعارك البحرية، وأمكنه الصمود أمام غزوات البربر المتتابعة.

بعد تحطم جزء من الكولوسيوم إثر هزة أرضية عنيفة في القرون الوسطى استخدم أمراء عصر النهضة قسماً من حجارة المدرج لبناء قصورهم العامرة مثل باباريني الذي تحول إلى متحف الآن وفرنيزي الذي استولى عليه نابليون ليصبح مقر السفارة الفرنسية.

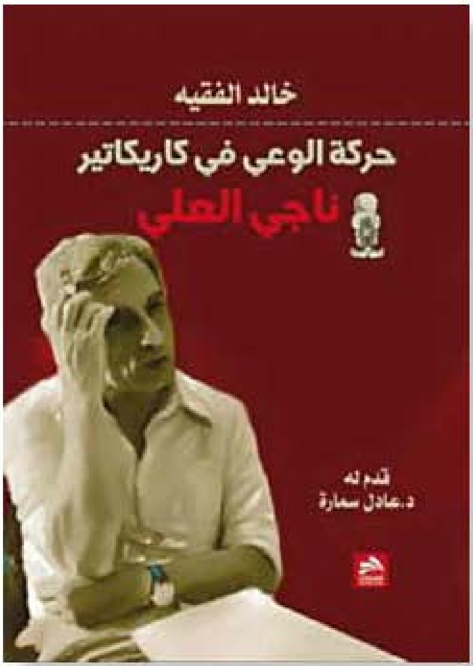
أقيمت في السنوات الأخيرة عدة حفلات موسيقية لأشهر الفنانين العالميين في باحة المدرج مثل بول ماكارتني من فريق البيتلز، لكن أنصار البيئة احتجوا على إفساد أهم الآثار التاريخية من قبل الجمهور فخفت تلك الحفلات أخيراً ولا شك أن قضاء لحظات شاعرية في باحة الكولوسيوم تحت ضوء القمر المكتمل في الليالي الصافية، هي أروع دقائق للعودة في الزمان إلى ألفي سنة وكأنك تعيش الأسطورة بكل أبعادها التاريخية.

ويتمتع المدرج الروماني الشهير في روما (الكولوسيوم) بمكانة خاصة لدى الإيطاليين وهو الموقع الأثري الأكثر استقطاباً للسائحين الأجانب أيضاً. وقال نائب وزير الثقافة الإيطالي فرانشيسكو جيرو أن مبيعات تذاكر المواقع الأثرية في روما «بلغت 41 مليون يورو وهي تشكّل نصف عائدات المواقع الأثرية في كل إيطاليا والمقدرة بـ 97 مليوناً. علماً أن عائدات زيارة الكولوسيوم والميدان الروماني والمواقع الأثرية المحيطة به تدر وحدها ريعاً يزيد على 30 مليون يورو» وأضاف: «تُبيّن هذه النتائج أن ثلث السائحين تقريباً أي ثمانية ملايين سائح من أصل 33 مليوناً من المترددين على المتاحف والمعالم التراثية في إيطاليا يزورون روما ويحرص خمسة ملايين منهم على دخول الكولوسيوم ما يجعله الموقع الأثري الأكثر استقطاباً للزوار في إيطاليا».



الكولوسيوم من الداخل

حركة الوعي في كاريكاتير ناجي العلي



صدر عن دار فضاءات للنشر والتوزيع كتاب (حركة الوعي في كاريكاتير ناجي العلي) للكاتب الفلسطيني خالد الفقيه، وقدم للكتاب رفيق ناجي العلي الدكتور عادل سمارة. ويقع الكتاب في 380 صفحة من الحجم الكبير.

يتناول هذا الإصدار موضوعاً مهماً له تأثيراته وتفاعلاته المختلفة في المجتمع الفلسطيني والمجتمعات الأخرى، ويتمثل هذا في الدور الذي اضطلعت به فنون الكاريكاتير الخاصة بالفنان ناجي العلي، وكيف أسهمت هذه النتاجات الكاريكاتيرية في تحفيز القرّاء وتحريضهم باتجاه خلق وعي خاص يهم نحو مختلف القضايا. ويربط الإصدار أثر كاريكاتيرات العلي بمفهوم التنمية السياسية بشكل أساس، عدا عن مفاهيم الديمقراطية والفقر والوحدة القومية.

يقول د. عادل سمارة في مقدمته: ربع قرن مضى على اغتيال الفنان/ المثقف المشتبك ناجي العلي على يد عرب وعجم وفلسطينيين. لا أقول هذا تكهّنا ولا اتهاماً.

الساعة السابعة من صباح 20 تموز 1987 قال لي وكلانا في مطبخ بيته في ضاحية ويمبلدون – من لندن-، وكنا نشرب قهوة مُرّة غلاها بيده حيث كانت الأسرة نياماً: أنا الآن متأكد أنهم سوف يقتلونني إن لم أمدح!

والساعة الخامسة مساء يوم 22 تموز 1987 اتصلت ليال ابنة ناجي الكبرى وقالت: عمّو طخوا أبي.

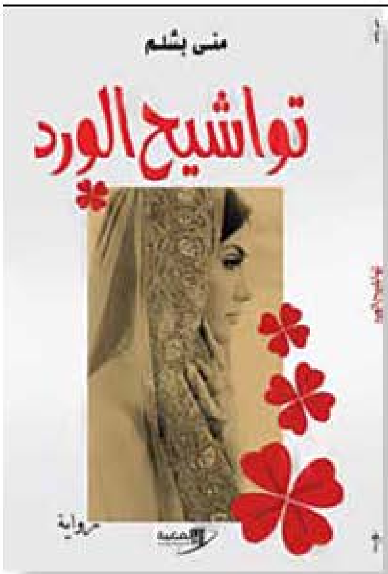
هي رصاصة واحدة، ليس صدفة أنها من صنع بريطانيا. وفي بريطانيا أُغتيل ناجي العلي، رصاصة واحدة أطلقها قناص محترف على وسط عنقه الخلفي فخرجت من خده الأيمن، وحينها قالت الشرطة البريطانية للسيد أحمد الهوني محرر جريدة العرب، حيث نقل لي قول الشرطةِ بوضوح كي يثنيني عن الكتابة ضد القتلة كي لا أُقتل أيضاً، وإثرها عدت من لندن لأحتمي بقريتي، قال: «أخبرتني الشرطة البريطانية أن القاتل محترف ويعلم أن الرجل لا يحتاج لأكثر من طلقة واحدة وهكذا كان، وأضاف الهوني: «يا أستاذ إذا كنت أنت مستموت، أنا لا، أنتم الفلسطينيين لا ربّ لكم» اخترقت الرصاصة مجمع الأعصاب معتقدة أن ناجي العلي سوف ينتهي لحظتها، لكن ناجي العلي بُعث حينها، وما زال يناضل ويأقوى عِبر كل مواطن ومفكر وباحث عروبي.

كان بحث الكاتب خالد الفقيه مثابة تأكيد على أن الفن المشتبك يهب الحياة لفنان بعد رحيله، كالبندقية النظيفة تواصل إطلاق النار بعد الشهيد، وكالأصيلة تحمل فارسها وتعود إلى البيت وهي تبكي. تواصل بحث الفقيه مع ناجي العلي، فهو بحث يُقيم حواراً بين الميت والأحياء، الميت الحي رغم أحياء هم موتى بلا قبور، وإن كانو في صياصي وقصور.

انطلقت هذه الدراسة من فرضيتين هما: أثرت رسومات الفنان ناجي العلي الكاريكاتيرية في مواقف الجماهير المتلقية لها، وفي مواقف القيادات السياسية الفلسطينية والعربية باتجاه الإصرار على الحقوق الوطنية. أما الفرضية الثانية فكانت: نجاح الفنان ناجي العلي في توصيف هموم المواطن العربي ورفع مستوى وعيه تجاه مشاكله، وبثّ روح التغيير على مختلف الصعد الاجتماعية والثقافية والسياسية على المستويين الفلسطيني والعربي، لم تقتصر فرضيات الكتاب على الفترة الزمنية التي نشر فيها ناجي رسوماته بل تعدّت ذلك لتطال أثرها على متلقيها بعد ذلك.

لحتاج الكاتب للاعتماد على عدد من المقابلات الخاصة لأنّ موضوع الكتاب لم يتم تناوله في أيّة دراسة سابقة من قبل أي من الكتّاب الفلسطينيين والعرب سابقاً، استفاد الكاتب من بعض الدراسات العامة التي تناولت كاريكاتير ناجي العلي، وأثره بشكل عام دون أن تخوض في الربط بينها وبين التنمية السياسية والوعي وعليه فإنّ أهمية الكتاب تكمن في أنه الأول في مجاله، وهو ما من شأنه تشجيع كتاب آخرين للتوسع والتطوير في هذا المجال والمجالات الأخرى التي تناولها، والتي يوصي الكاتب الكتّاب المهتمين بالتقاطها لما تحمله من غنىً وعمقٍ ودلالات اجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية وإبداعية، تصبّ في مجال التنمية السياسية وتطوير الوعي البشري، والسير نحو الحرية والعدالة و الديمقراطية الحقّة المرجوّة.

(تواشيح الورد) للكاتبة منى بشلم



صدرت حديثاً عن دار الألمعية الجزائرية رواية (تواشيح الورد) للكاتبة منى بشلم، كتب عن الرواية الناقد المغربي د. شعيب حليفي قائلاً: تخوض مُنى بشلم في روايتها الأولى (تواشيح الورد) مغامرة الإبداع الباحث عن فرادة ممكنة تسمح لها بتجريب كلي في طريقة صوغ الحكاية أو تدبير رؤيتها مما يُمكنُ اعتباره تجربة أخرى في السرد المغاربي، تُعزز التراكم الذي ساهمت فيه كل الأجيال.

ولعلّ الرواية التي تُقدمها الأديبة مُنى تعكسُ العديد من المرايا المتفاعلة فيما بينها، ذاتية وغيرية، اجتماعية وثقافية .. في أفق معرفة تُعبرُ بالرمزي ما تعجز اللغة المباشرة عن قوله، لهذا جاءت الرواية بحكاية واحدة وأسئلة متعددة، ذات قدرة على التخفي والتكيف.. حتى تمنحَ للكاتبة مقدرة بناء نص تخييلي مركب بجسور تمتدُّ أفقياً وعمودياً، انطلاقاً من قوة دفع حاسمة هي اللغة الشعرية التي كسرت رتابة النثري وولجت تجريباً تجديدياً في الحكي.

وقد احتوت اللغة الشعرية مساحات النثر في زمن امرأة تبوح بتفاصيل الحياة، ولا تجد سوى هذا النّفَس الذي يحررها، روحاً وجسداً ويُقيدُ المعنى والدلالة.

(يائيل) للروائي محمد الغربي عمران

صدرت رواية (ظلمة) للقاص والروائي الكبير محمد الغربي عمران عن دار طوى في طبعتها الأولى تحت عنوان (يائيل) والرواية تعالج فترة مهمة من تاريخ مجتمع جنوب شبه الجزيرة العربية، منتصف القرن الخامس الهجري، حيث استدعى كاتبها التاريخ، مركزاً على الصراع الديني بين المذاهب، ليدور صراع عنيف للسيطرة على المجتمع بين ثلاثة مذاهب إسلامية هي: المذهب الإسماعيلي، وكان امتداداً للدولة الفاطمية في القاهرة، والمذهب السني الامتداد لمذهب العباسيين في بغداد، والمذهب الثالث هو المذهب الزيدي.

وتدور أحداث الرواية في أعالي جبال السروات في اليمن وعسير وحتى الحجاز، وهي بيئة شخصيات الرواية، حين يعيش إنسان ذلك الجزء من العالم في صراع دموي رهيب يقوده زعماء تلك المذاهب، وهو ما يحدث اليوم، ففي الوقت الذي كان يقود زعماء تلك المذاهب العامة من قبائل ودهماء ليوجهونهم لنهب المدن وتدميرها بفتوى فساد حكامها، تنتشر عمليات القتل والسلب بدعوى نشر الدين الحق، ليدخل زعيمهم معلناً نفسه أمير للمؤمنين، ليستنجد زعماء المذاهب الأخرى بتجييش القبائل لتدور الدائرة، وهكذا دواليك ما أن يسيطر زعيم مذهب على صنعاء معلناً نفسه إماماً على جنوب شبه جزيرة العرب حتى يدعو زعيم مذهب آخر أتباعه وبقية القبائل للهجوم على صنعاء مبيحاً النهب والسلب مقابل ما قاموا به.

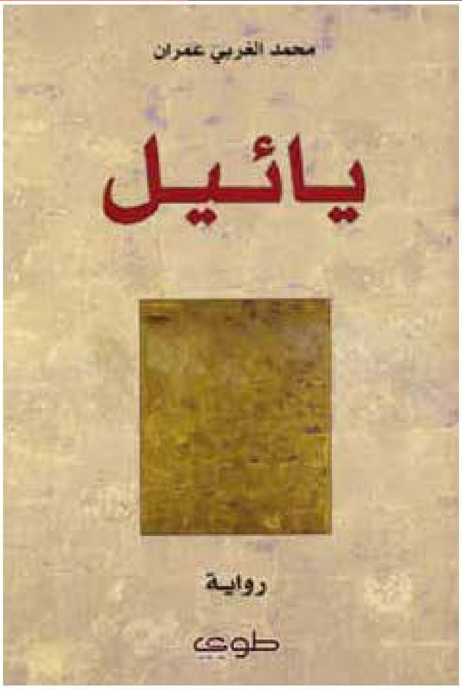
والرواية تسقط الماضي على ما نعيشه اليوم، فلا يزال الدين وأئمته هم المتحكمون بوعي العامة من الناس، ولذلك يعيش الوطن العربي حالة شبيهة أو مطابقة لما عايشه مجتمعنا قبل ألف عام مع اختلاف الأدوات، وما نعانيه اليوم، فها هي الثورات الشبابية، وها هي التيارات المتأسلمة تقطف ثمارها دون أن يكون قد قدمت أي تضحيات.

الرواية عالجت أيضاً العلاقة بين أتباع الديانات الأخرى والمذاهب المخالفة للإسلام في جنوب شبه الجزيرة العربية، مثل الوثنية واليهودية، لينكفئ أتباع كل دين على أنفسهم، وإن ظهر العكس من ذلك، خوفاً من التنكيل والإبادة، وهنا يستخدم الكاتب تعدد أصوات الرواة وتولي حكيها، الأصوات التي تتضافر بشكل مطرد، لتقدم لنا أحداثاً وتطورات العلاقات بين فئات المجتمع في قالب سلس وممتع، هناك عدة تيمات نسج الكاتب روايته حولها، مثل: صراع النفس حول الإيمان والشك بمصداقية دين عن آخر، ومذهب دون غيره من المذاهب، ولذلك ظلت الشخصية الرئيسية للرواية (جوذر) تتأرجح بين المعتقدات اليهودية والإسلامية، وظل جوذر في بحث وتساؤل مستمر عن وجود الله من عدمه.

والمحور الثاني قصة حب مضطربة وغير متوازنة بين (جوذر) الابن من زواج بين مسلم ويهودية وبين حبيبته (شوذب) ابنة المعلم الباطني صعصعة الذي علمه رسم الحروف ونقش الأشكال وتلوينها، كما لقنه الكثير مما يعتقد، شوذب الحبيبة التي تتعرض للخطف والبيع كجارية في سوق النخاسة، في الوقت الذي يقتل والدها المعلم من قبل رجال إمام صنعاء بتهمة ترويجه للأفكار الباطنية، الكأس الذي تجرعه صبيه جوذر، والذي يرمى بعد مقتل معلمه بشهور في سجن مظلم، عبارة عن سرداب تحت قصر الحاكم ليقضي فيه عدة سنوات، وحين يخرج من سجنه بعد صعود إمام جديد، لا يجد حبيبته شوذب أو أمه اليهودية، ليبدأ بالبحث المضني بعد أن علم بأنها خُطفت وبيعت في إحدى موجات إباحة صنعاء للقبائل، لتباع كأمة ويرحل بها النخاس من صنعاء باتجاه مكة لبيعها.

والشخصية الرئيسة في الرواية هي جوذر الذي أتقن النسخ والنقش والتلوين، وبسبب مهنته تلك تعرض للملاحقة والسجن، ثم شخصية المعلم صعصعة الذي علمه أسرار تلك المهنة التي تسببت في مقتل المعلم من قبل رجال أحد الأئمة، ثم شخصية أم جوذر يائيل اليهودية التي دفعت ثمن مخالفة أهل ملتها حين هربت لتتزوج شاباً مسلماً كان يعمل مساعداً مع أحد زعماء المذاهب، لكنه يقتل في إحدى موجات النهب والسلب لصنعاء، ويتركها ووليدها الصغير فتعيش منبوذة من الطائفة اليهودية ومن أسرة زوجها، إضافة إلى عشرات الشخصيات التي تتفاوت تأثيرها في مجريات أحداث الرواية.

يبحر الكاتب بالقارئ إلى عوالم أسطورية وأحداث غامضة ومواقف مبهمة في أكثر من 450 صفحة، من خلال الراوي جوذر الذي يروي في مخطوطته كل ما عاشه وما عايشه منذ طفولته وحتى صباه وشبابه، مسجلاً في مخطوطته التي يكتشفها أحد العاملين في دار المخطوطات والكتب بصنعاء، باعتبار جوذر فناناً وناسخ كتب ونقاش زخارف ورسام أحرف، يحكي حياة أفراد مجتمعه في ذلك الزمن الموغل بإبهامه وغموضه، مسجلاً صراعاً رهيباً واقتتالاً متواصلاً على الحكم، وما

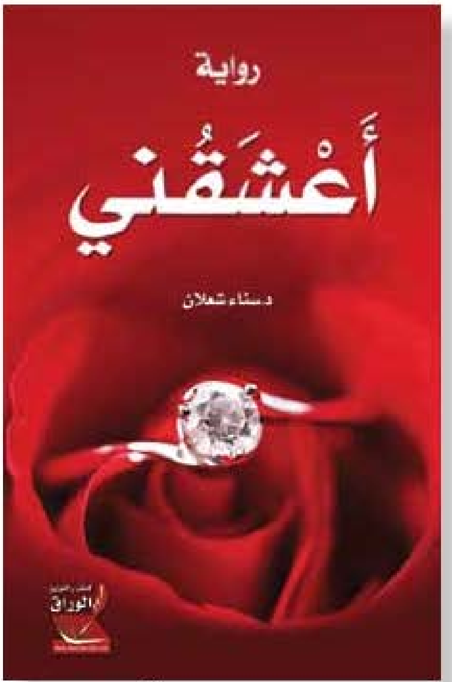


تعرض له من سجن وتشرد بسبب مهنته، ثم رحلته للبحث عن حبيبته شوذب بعد خروجه من السراديب المظلمة عقب استيلاء أتباع المذهب الباطني على صنعاء (الصليحيون) ليرحل باحثاً عنها وعن أمه متنقلاً مع القوافل من بلد إلى آخر حتى يصل مكة عبر جبال عسير، لينتقل جوذر من طور إلى آخر راوياً ما يصادفه من عقبات ومشاكل، وخلال رحلته إلى مكة تتداخل الرؤى والأفكار بين بحثه عن حبيبته وبحثه عن يقين الله ليعود من مكة خائباً عبر تهامة إلى صنعاء تائهاً بين الشك واليقين، ليكتشف غربته عما حوله وعن نفسه، وقد تداخل الحب بالإيمان بالفناء، الرواية تظهر لنا أسلوب حياة مجتمع جنوب الجزيرة مع تداخل العقائد الوثنية بالسماوية وتمازجها بالسياسة، وشناعة الحروب المتتالية التي يقودها زعماء الدعوات المذهبية ليس حباً في الله ولكن بهدف السيطرة والاستبداد، لتتعاقب الحروب التي يتخللها النهب والسلب والتدمير بصورة متعاقبة، وكأن القاعدة هي الحروب وما عداها هو الاستثناء.

يستدعي الروائي التاريخ ليوظفه في استجلاء غوامض ما تعيشه مجتمعاتنا في الوقت الحاضر بتقنية عالية متكئاً عليه ليحلق بخيالة فاضحا ما يعتمل على ساحتنا العربية المعاصرة من تسلط وفساد ودكتاتورية، حين يظل الدين أداة فاعلة لترويض ولخضاع المجتمعات واستغلالها، ليضفي على شخصية الحاكم هالة من القداسة لأغراض سياسية.

والرواية توحي بالتمرد والثورة كقيمة إنسانية من خلال وقودها الطبقة الدنيا من المجتمع وتحالفهم مع الطبقات الواعية والمفكرة.

رواية (أعشقني) للأديبة الأردنية سناء الشعلان



عن مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع صدرت رواية (أعشقني) للأديبة الأردنية سناء الشعلان، وهي الرواية الفائزة بجائزة دبي الثقافية للإبداع للعام ٢٠١٠/٢٠١١ في دورتها السابعة. وتقع الرّواية في ٢٢٤ صفحة من القطع الصّغير،وتتكوّن من ٨ فصول.

والرواية امتداد لروايات الخيال العلمي عبر توليفة سرديّة روائيّة رومانسيّة. وباختصار نستطيع أن نلخّص فكرة الرواية في كلمة بطلتها في البداية حيث تقول: «وحدهم أصحاب القلوب العاشقة من يدركون حقيقة وجود بُعد خامس ينتظم هذا الكون العملاق. أنا لستُ ضدّ أبعاد الطّول والعرض والارتفاع والزّمان. ولستُ معنية بتفكيك نظرية إينشتاين العملاقة التي يدركها، ويفهمها جيداً حتى أكثر الطلبة تواضعاً في الذّكاء والاجتهاد في أيّ مدرسة من مدارس هذا الكوكب الصّغير. ولكنّني أعلم علم اليقين والمؤمنين والعالمين والعارفين والدارين وورثة المتصوّفة والعشّاق المنقرضين منذ آلاف السّنين أنّ الحبّ هو البُعد الخامس الأهم في تشكيل معالم وجودنا. وحده الحبّ هو الكفيل بإحياء هذا الموات، وبعث الجمال في هذا الخراب الإلكتروني البشع، وحده القادر على خلق عالم جديد يعرف معنى نبض قلب،وفلسفة انعتاق لحظة. أنا كافرة بكلّ الأبعاد خلا هذا البعد الخامس الجميل».

فهذه الرّواية تقدّم مساحات النّفس الإنسانيّة بما فيها من معضلات فكريّة ونفسيّة وجسديّة عبر منظور زمني عامودي يخترق أكثر من ألفي عام من تاريخ الحضارة الإنسانية، حتى النفاذ إلى ألف عام أخرى مستقبليّة مفترضة حيث عام ٣٠٠٠ ميلادي عبر توليفة استشرافيّة فنتازية لما قد يكون عليه مستقبل البشريّة في ضوء معطياتها الحاضرة، وانطلاقاً من أزمانها الرّاهنة في إزاء خيال علمي يعد بالكثير من التقدّم على المستوى التقني، في حين يظلّ عاجزاً عن الارتقاء بإنسانية الإنسان،وقاصراً عن السّمو بقلبه وعقله، ليظلّ هو الآخر حبيس أزمات الإنسان ومعضلاته وأفكاره وأسئلته الكبرى.

هذه الرّواية تهجر التّخوم لتدخل إلى عوالم الأسئلة الكبرى عند الإنسان،مثل: الموت والحياة والسّعادة والخلق والقوة والعلم والجنس والعشق والدّين والرّب والسّلطة والثّورة والنّصر والهزيمة والفرد والجماعة،وتحاول أن تقدّم تجربة عشقيّة هاربة من عالم المادي التقني المفترض في المستقبل في ضوء الخيال العلمي،لتقدّم تجربة طوباويّة للعشق والجنس والخلود والامتداد البشري.

وهي بذلك تهزأ من تشيء الإنسان في الوقت الحاضر، وتقدّم نبوءة متشائمة لمستقبل البشرية إن أصرّت الإنسانيّة على ما هي عليه من فرقة وقسوة وحروب ووحشيّة وانتهازيّة ودمار؛ فترسم عوالم مستقبلية في جغرافيّة كونيّة هائلة تمتدّ إلى كلّ كواكب درب التّبانة، وتشمل البشريّة جمعاء في مشهد بشريّ مأزوم في مستقبل يدين للآلة والبراغماتيّة والعلم المقطوع عن الإنسانيّة وعن السّماء، ويحوّل الإنسان إلى رقم كونيّ مفرغ من الأمل والمشاعر والذّاتيّة بل ومن السّعادة.

وفي هذا الفراغ الرّوحي القبيح حيث لا جسد بمعناه التفاعليّ، ولا أسماء،ولا أحلام،ولا ذاتية، ولا أوطان، ولادين، ولا أمل، ولا جمال يولد العشق بين القاتل والمقتول، ويجد بطل الرواية نفسه سجيناً في جسد اغتاله ضمن توليفة سرديّة تقوم على افتراض نقل دماغ الإنسان من جسد إلى آخر في المستقبل القريب، ثم يجد نفسه حاملاً بطفل الجسد الذي يسكنه، وهنا تبدأ رحلته مع نفسه، ومع جسده الجديد، ومع جنينه، ومع أسئلته الكبرى، ليجد في النّهاية كلّ الإجابات عن أسئلته المعلّقة التي تقهر وجوده المستلب في عالم المستقبل المفترض، فيقع في عشق جسده الذي كان في يوم ما هو جسد المرأة التي اغتالها بعد أن يعرفها عبر دفتر يومياتها، ويؤمن مثلها بالعشق، ويهجر الإلحاد حيث الإيمان بالرّب، ويؤمن من جديد بإنسانيته وبحق البشريّة في فرصة أخيرة في الحياة والسّعادة والعشق، ويعشقها بكلّ عمق وصدق، ويقرّر أن يبدأ حياة جديدة بجسده الأنثويّ الذي يضمّ رجولته العاشقة لتلك المرأة التي تركت جنينها في جسدهما.

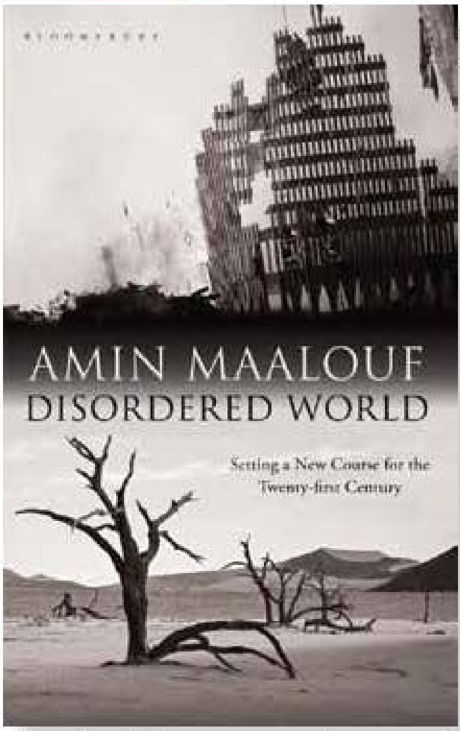
وينتصر خيار الحياة والعشق في نهاية الرّواية، ويقرّر بطل الرّواية أن يحتفظ بالجنين، وأن يلده عندما يحين وقت ذلك ليهرب به إلى كوكب آخر، ويبدأ به جيلاً آخر من البشرية يكون حاملاً للواء المحبة والإخاء والعدل والمساواة بعيداً عن ظلم البشريّة، وسيرها في طريق الهلاك الحتمي.

هذه الرّواية هي انتصار العشق والحياة على الموت والفناء، إنّها دعوة مفتوحة لبدايات جديدة، وآفاق أرحب، وفرص أخيرة... إنّها خيار السّعادة لمن أرادها بحق بعيداً عن المادة الباردة الموغلة في العزلة.

وعن سبب اختيار الشعلان للكتابة في جنس الأدب الروائي القائم على الخيال العلمي تقول: «الخيالُ العلميُّ يفتح شرفة ثلاثيّة الأبعاد على مستقبل التّقدّم المرجّى، وممكن الإنسان المحتمل الحدوث في محدّدات زمانيّة ومكانيّة ومعرفيّة قادمة ضمن سيرورة التقدّم العامودي والأفقي في مدارج الحضارة، وشكل الرّواية التّقليديّ في ضوء سلطات معرفيّة جديدة نَعِد بأن نقدّم معطيات حداثيّة للشّكل الحكائيّ السّردي بما يتناسب مع أيدولوجيات الطّرح المختلف، ومعطيات العوالم المقترحة، والإمكانيّات المشروطة، بما يتناسب مع فرضيات كاتب الخيال العلمي، ومع نظرياته، ورؤاه المستقبليّة.

ومن هذه الشّرفة الثلاثيّة العريضة التي يقدّمها هذا الأدب، نستطيع القول إنّ الخيال العلمي تجربة رياديّة خاصة في كتابة المستقبل بالارتكاز على دراسة علميّة دقيقة لمعطيات الواقع المرجّى، وأفق نمائه وامتداده في ضوء إمكانياته واحتمالاته وحاجاته، وبخلاف ذلك تصبح تجربة كتابة الخيال العلمي هي مجرّد شطحات فانتازيّة مغرقة في الشّطط، لا تساعد في أن تقوم بدورها التنويري والتحريضيّ في تقديم صيغ معرفيّة جديدة في ضوء منتاجات معرفيّة حاليّة حقيقيّة الوجود، والتّماهي في تشكيل صورة الوجود الإنسانيّ على كوكب الأرض».

(عالم الفوضى ..وضع مسار جديد للقرن الواحد والعشرين) للكاتب أمين معلوف



صدر حديثاً كتاب للمؤلف اللبناني العالمي أمين معلوف بعنوان (عالم الفوضى .. وضع مسار جديد للقرن الواحد والعشرين) يتناول من خلاله ما يجري في العالم عموماً والعالم العربي والشرق الأوسط خصوصاً، وفيما يختص بأوضاع المهاجرين العرب والمسلمين المقيمين حالياً في أوروبا والمهجر، والذين يعانون من أزمة في هويتهم وانتماءاتهم الحضارية والسياسية وبما يتعلق بالأقليات المقيمة في العالم العربي.

والكتاب صدر بعدة لغات، ونسخته الإنجليزية صدرت عن دار (بلومبزبري) في نيويورك ولندن، وهي مترجمة من النسخة الأصلية بالفرنسية.

ويستهل معلوف كتابه بقوله: «عندما قررت أن استكشف عالم الفوضى توصلت إلى استنتاج بأن في جذور مشكلة العالم العربي كون قادة هذه المنطقة من العالم يفتقرون إلى الشرعية في نظر أبناء شعوبهم التي حرمت الحرية والكرامة والحصص المشروعة من مواردها المادية الضخمة من النفط والخيرات الطبيعية، مما أدى إلى تشاؤم هؤلاء المواطنين وميلهم إلى تحطيم أنفسهم في سبيل تبديل الأوضاع».

وأضاف: «أن الربيع العربي بدأ بانتحار مواطنين فقدوا الأمل وهو يشبه إلى حد كبير انتحار الكهنة البوذيين الذين حرقوا أنفسهم اعتراضاً على الحرب الأمريكية في فيتنام في ستينات القرن الماضي».

ويرى معلوف أن الربيع العربي الذي انطلق في عام 2011 بشكل أقوى وأفعل رد على اعتداءات (سبتمبر) 2001 في نيويورك وواشنطن وعلى النظرة الجهادية العنيفة التي دفعت إليها.

إذ أن الانتفاضات السلمية في 2011 في شوارع المدن العربية أسقطت إيديولوجية منظمة القاعدة قبل سقوط قادتها، ويطرح الكاتب أمين معلوف من خلال كتابه (عالم الفوضى ..وضع مسار جديد للقرن الواحد والعشرين) السؤال التالي هل ستستعيد مصر الدولة الأكثر سكاناً عربياً والتي قادت العالم العربي في الماضي خاصة أبان فترة قيادة الرئيس جمال عبد الناصر قيادتها لهذا العالم.

ويؤكد أنه من الصعب جداً الإجابة على هذا السؤال في ضوء المتغيرات السريعة التي تحدث في العالم العربي والعناصر العديدة المتداخلة في هذه الأحداث، ولكن ما يعتبره معلوف الأمر الأهم في التطورات الأخيرة هو أن العرب وضعوا حداً للأسطورة القائلة بأنهم لا يتوقون إلى الحرية، شأنهم شأن شعوب العالم الأخرى.

ويشيد بشجاعة الملايين من أبناء الوطن العربي الذين واجهوا القنابل والرصاص بصدورهم العارية وأيديهم في شتى المدن العربية الثائرة.

ويرى أمين معلوف أن أحد الأمور التي قد تنجي العالم العربي من أزماته الخطيرة ومن هيمنة الغرب عليه هو قدرته على تجاوز الخلافات الطائفية والاثنية المنتشرة فيه.

ومن دون ذلك بنظره لا مجال للتقدم السياسي والاقتصادي، لافتاً إلى معاناة الأقليات المسيحية في بعض الدول العربية في السنوات الأخيرة.

كما يتساءل: «هل تتحمل إسرائيل وأمريكا بعض المسؤولية فيما يحدث لمسيحيي العالم العربي؟»، ويجيب بنعم، ولكن بضرورة عدم استخدام هذا الأمر كذريعة لتحقيق المآرب السياسية، كما ينبه إلى خطورة الإرهاب فيما بين الطوائف المسلمة المختلفة والذي يخدم الهيمنة الأجنبية على العالم العربي.

وأشار معلوف إلى أن دوافع التدخلات العسكرية الأمريكية والأوروبية، لا يمكن فصلها عن رغبة هذه الدول باستمرار وضع يدها على الموارد النفطية والغلاية الطبيعية في المنطقة، منوهاً إلى أن تصاعد دور الصين وروسيا والهند والبرازيل ودول أخرى في القارة الآسيوية أضعف الهيمنة الاقتصادية الأمريكية، ودفعها إلى البحث عن خيارات أخرى لاستمرار نفوذها.

(أحزان الإمبراطورية) للبروفيسور تشالمرز جونسون



صدور حديثاً كتاب (أحزان الإمبراطورية: النزعة العسكرية، السرية، ونهاية الجمهورية) للبروفيسور تشالمرز جونسون، ويُعد هذا الكتاب هو الجزء الثاني من ثلاثية كتبها البروفيسور جونسون أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كاليفورنيا وترجمه الإعلامي الكبير صلاح عويس المحاضر بكلية الإعلام بجامعة مصر الدولية في إطار إصدارات المركز القومي للترجمة ويقع في حوالي أربعمائة صفحة من القطع الكبير.

لقد بحث الكاتب في جذور النزعة العسكرية الأمريكية «التي حولتها الحرب الأسبانية الأمريكية – أواخر القرن التاسع عشر – إلى نزعة استعمارية ووضعت أمريكا على طريق النزعة العسكرية، كما قام بجولة في القواعد العسكرية الأمريكية في الخارج وكيف نمت وانتشرت، وقال إنه مع احتلال بغداد عام 2003 كانت الولايات المتحدة الأمريكية تشق طريقها ببطء نحو النزعتين الإمبراطورية والعسكرية منذ سنوات عديدة، وكان زعماؤنا يموهون الاتجاه الذي يسيرون فيه، يلفون سياساتهم الخارجية بعبارات مثل القوة العظمى الوحيدة، والأمة التي لا غنى عنها، والعولمة، وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر أفسحت هذه المزاعم المتباهية الطريق لإعلانات الإمبراطورية الرومانية القادمة، وكتبت الصحفية الإنجليزية مادلين نانتج تقول: «كان من

المعتاد أن تكون الإمبراطورية الأمريكية مجرد حكاية تداعب خيال أقصى اليسار.. أما الآن فهي حقيقة مزعجة من حقائق الحياة».

واعتبر المؤلف أن الحكومة الأمريكية ما زالت تتصرف تقريباً بنفس أسلوبها أيام الحرب الباردة، وأكد على احتمال نشوب حرب في شرق آسيا، وقال إنه «في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر لم يعد ضرورياً إطلاق التحذيرات، وبدلاً من ذلك كان التشخيص أو حتى التشريح أمراً أكثر ملائمة، وفي رأيي أن من المحتمل تعذر إلغاء تنامي النزعة العسكرية والسرية الرسمية والاعتقاد بأن الولايات المتحدة لم تعد ملزمة بالفقرة الشهيرة في إعلان الاستقلال التي تنص على التمسك بالاحترام اللائق لآراء البشر، وقد يتطلب الأمر اندلاع ثورة تهدف إلى إعادة وزارة الدفاع تحت السيطرة الديمقراطية، أو إلغاء وكالة المخابرات المركزية، أو حتى التفكير في فرض تنفيذ المادة الأولى من القسم التاسع للبند السابع من الدستور التي تنص على عدم السماح بسحب أية أموال من الخزانة العامة إلا وفقاً للمخصصات المحددة بحكم القانون، ووجوب إصدار بيان حسابي بانتظام للواردات والنفقات الخاصة بجميع الأموال العامة ونشره من وقت لآخر».

وعلى ذكر النفقات الخاصة يقول البروفيسور جونسون: «وكالات الاستخبارات الأمريكية تنفق أكثر من مجموع الناتج الوطني الإجمالي لكل من كوريا الشمالية وليبيا وإيران والعراق مجتمعة، وهذه الوكالات تفعل ذلك باسم الشعب الأمريكي ولكن دون مشورته أو إشرافه».

وعن الإمبراطورية العسكرية الأمريكية يقول إنها «تتكون من قواعد بحرية دائمة ومطارات حربية وثكنات للجيش ومراكز تجسس للتنصت ومواقع استراتيجية محاطة بأراض أجنبية، وكل ذلك ينتشر في كل قارة على وجه الأرض.. ولا تعتبر شبكة القواعد الأمريكية – 725 قاعدة– علامة على الجاهزية العسكرية، ولكن على نزعة التسلط العسكري وهي الرفيق الذي لا مفر منه للنزعة الإمبراطورية».

ويتلخص التعريف البسيط للنزعة الإمبراطورية في «أنها هيمنة الدول القوية على الدول الضعيفة واستغلالها، وتعقب أحزان كثيرة هذه النزعة القديمة التي تسهل ملاحظتها، فالنزعة الإمبراطورية على سبيل المثال هي السبب الجذري لأحد أسوأ الأمراض التي أصابت بقية العالم عن طريق الحضارة الغربية، وأعني بها العنصرية».

ويقول البروفيسور جونسون: «إن القوات المسلحة الأمريكية تحجم تماماً عن إخلاء أية قاعدة بمجرد أن تستولي عليها، وبدلاً من ذلك تبتكر لها أغراضا جديدة.. والقواعد الأمريكية لا تطبق إلا القوانين الأمريكية على من فيها إذا ارتكب أيهم جريمة ما ضد السكان الأصليين للبلاد محل القواعد.. كما أن جلب آلاف من الشباب الأمريكي الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين من العمر إلى ثقافات غريبة عليهم ويجهلونها تماماً، يعتبر طريقة لنشر سلسلة لا تنتهي من الحوادث لتصبح كالوباء الذي يصيب الدول التي وافقت على استضافة تلك القواعد».

ويلمس المؤلف كبد الحقيقة التي يجهلها كثير من الأمريكيين وقادة الدول التي تسير في فلكها – أو يعرفونها ويتجاهلونها لمصالحهم الخاصة– حين يقول في الفصل الأخير بعنوان أحزان الإمبراطورية «منذ اللحظة التي اضطلعنا فيها بدور اشتمل على الهيمنة العسكرية الدائمة على العالم، ونحن خائفون ومكروهون وفاسدون ومفسدون، ونحافظ على (النظام) من خلال إرهاب الدولة والرشوة، وقد اعتدنا على الخطب المغموسة بجنون العظمة، والمغالطات التي دعت بقية العالم إلى التوحد ضدنا».

ولخيراً فإن البروفيسور جونسون الذي حصل على الدكتوراه من جامعة بيركلي، خدم باعتباره ضابطاً بحرياً في اليابان وكوريا الجنوبية وكان مستشاراً لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وله مؤلفات عديدة.

(روبيسير.. حياة ثورية) كتاب يتناول سيرته الذاتية

(روبيسبر..حياة ثورية) كتاب جديد صدر بالإنجليزية لبيتر ماكفي بمثابة دراسة عميقة عن الثوري الفرنسي روبيسبر ويتضمن عديد من التفاصيل المثيرة والغنية عن السنوات المبكرة في حياته، وعلى حد تعبير روث سكور في صحيفة (الاوبزرفر) البريطانية فإن هذا الكتاب هام لأنه يتناول شخصية بالغة الأهمية في تاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ الثورات ككل.

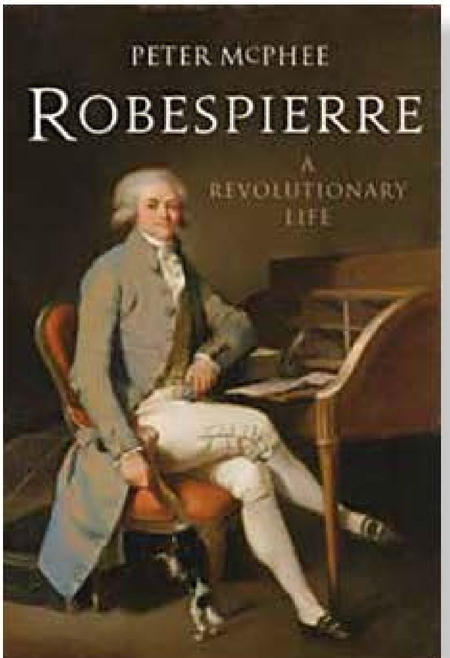
فروبيسبر يبدو مثل الجن أو المارد في حكايات (ألف ليلة وليلة القادمة) من الشرق، فهو رجل ظهر فجأة وحظي بقوة هائلة كأحد جبابرة الثورة وكما ظهر فجأة اختفى فجأة ولا يترك سوى قصص الرعب والإرهاب والترويع، غير أن هذا الكتاب الجديد لم يقع في فخاخ التصورات المألوفة أو المتداولة حول روبيسبر وبحار الدم التي ولغ فيها وإنما آثر مؤلفه أن يسلط أضواء كاشفة على ملامح الفيلسوف والمفكر الثوري الفرنسي بصورة لا تجافي المنهج العلمي الواجب.

وهكذا ستجد بيتر ماكفي يتناول برصانة وعمق في كتابه المراحل المبكرة من طفولة ومراهقة روبيسبر الذي ولد يوم السادس من مايو عام 1758 كثمرة لعلاقة غير شرعية غير أن والديه تزوجا بعد مولده.

وبمقاييس التعليم كان روبيسبر طالباً مجتهداً ومثابراً كما يوضح الكتاب، مشيرا إلى أنه لم يخل من ومضات نبوغ مبكر أثناء دراسته في مدرسة لويس لو جراند لكن لا يمكن القول باطمئنان إنه كان عبقرياً أو وحيد دهره فهناك مثله المئات إن لم يكن الآلاف من الفرنسيين.

وكمحام طموح وعضو في أكاديمية آراس، بدا روبيسبر مهتماً ومشاركا في المناقشات التي عرفها القرن الثامن عشر حول مفهوم الفضيلة وعرف كتابات مونتسكيوروسو.

ويمضي الكتاب موضحاً رؤية روبيسبير للثورة حيث اعتبر «أن الثورة مستمرة ولا يجوز لها أن تنتهي قبل أن يشعر الفقراء بالحماية كما يشعر الأغنياء بالأمن والأمان». ولا جدال أن روبيسبر كما يؤكد المؤلف كان مفكراً صاحب حس اجتماعي يدعو للعدالة ويشدد عليها بقدر ما يجهر عالياً برفض كل صور الجور والظلم الاجتماعي ومن هنا أطلق سؤاله الشهير والدال: «هل تريدون ثورة بدون ثورة؟».



والطريف أن بيتر ماكفي تعرض كمؤلف لشيء من سوء الحظ بعد أن كشفت دار المحفوظات القومية الفرنسية عن وثائق جديدة وهامة تتعلق بروبيسبر ولعل المؤلف يوردها في طبعة جديدة من كتابه.

الكشف عن قائمة الروايات المرشحة لجائزة جونكور الأدبية الفرنسية

كشف المسئولون في الأكاديمية الأدبية الفرنسية جونكور عن قائمة الروايات المرشحة لنيل الجائزة الشهيرة، والتي سوف تمنح في ٧ نوفمبر القادم.

ومن بين هذه الروايات (الطفل اليوناني) للكاتب فاسيليس الزاكيس، ورواية (الهجرة) للكاتب تيري بنستجيل.

وأيضاً هناك رواية (الطاعون والكوليرا)، للكاتب باتريك دوفيل، و(الحقيقة في قضية هارى كويبر) للكاتب جويل ديكر، و(شارع اللصوص) للكاتب ماتياس إينار.

الجدير بالذكر، أن هذه القائمة لا تحتوي أعمالاً نشرتها كل من دار دجر اسيه ودار فلاماريون وهناك رواية وحيدة نشرتها دار جاليمار.

الربيع العربي وعوالم ألف ليلة في معرض فرانكفورت للكتاب

تتواصل فعاليات معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي فتح أبوابه في 10 تشرين الأول/أكتوبر 2012 للجمهور أيضاً، وقد حظيت عدد من المواضيع الثقافية والسياسية بحيز من النقاش ومن ضمنها قضايا الربيع العربي ونتائجه وتأثيره على المشهد الثقافي.

شكل الربيع العربي بؤرة الحضور العربي في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب هذه السنة، حيث خصص المنظمون حلقات للنقاش مع كتاب ألمان وعرب، تتناول الأوضاع في مصر وتونس وليبيا واليمن، غير أن الاحتجاجات التي تشهدها سوريا في الوقت الحالي ظلت هي الأكثر حضوراً، وقد خصصت إدارة المعرض لقاء خاصا مع الكاتبة والمترجمة الألمانية لاريسا بندر لتقديم الكتاب الذي أشرفت على نشره سوريا، (الطريق الصعب نحو الحرية)، وهو الكتاب الذي يعرض شهادات عدد من النشطاء والكتاب حول الوضع السوري المتأزم.

كما شكل وضع النساء في ظل الثورات العربية محوراً للنقاش، حيث تحكي الكاتبة التركية نيكلا كيليك التي سافرت في عز الثورات العربية إلى عدد من الدول العربية عن شهادتها حول نساء يطمحن إلى الحرية، وتشاركها في النقاش وزيرة شؤون اندماج المهاجرين في ولاية بادن-فوتمبرغ بيلكاي أوني.

ويذكر هنا أن المعرض فتح أبوابه لجمهور القراء في 13 تشرين الأول/أكتوبر 2012 بعد أن اقتصرت الثلاث الأيام الماضية على الزائرين المتخصصين والناشرين والتجار.

المكتبات في وطن شكسبير مهددة بالإغلاق

تعالت أصوات أدباء وكتاب بريطانيون لحماية مئات الفروع من المكتبات المحلية المهددة بالإغلاق بسبب الضائقة المالية، في بلاد عرفت على مر تاريخها بولعها بالقراءة وأنجبت مئات المبدعين والمؤلفين.

وكشفت أرقام لمؤسسات تراقب عمليات الإغلاق في المدن البريطانية عن وجود 245 مكتبة محلية مهددة بالإغلاق من قبل المجالس المحلية من أصل 4000 مكتبة.

وتقود الروائية البريطانية زادي سميث الحاصلة على جائزة (أورانج) للرواية النسائية عن روايتها «عن الجمال» حملة لمواجهة عملية الإغلاق المتصاعدة لفروع المكتبات المحلية، بمشاركة ناشطين ومتطوعين من أجل المحافظة على إرث أسهم في صنع معرفة أجيال من البريطانيين.

أعلى مبيعات الكتب في قائمة (نيويورك تايمز)

بروايتها (50 ظلاً للرمادي) وللأسبوع العشرين على التوالي، تصدرت الكاتبة البريطانية (أي .إل.جيمس) قائمة (نيويورك تايمز) للروايات الأكثر مبيعاً سواء للنسخ الورقية أو الإلكترونية في الأسبوع الأخير .

وفي المركز الثاني، جاءت روايتها (50 ظلاً أكثر قتامة) فيما احتل: (50 ظلاً طليقا) لهذه الكاتبة البريطانية الظاهرة المركز الثالث للأسبوع السادس عشر على التوالي.

وفي المركز الرابع جاءت رواية (فتاة راحلة) لجيليان فلين للأسبوع الثالث على التوالي، بينما كان المركز الخامس والأخير في قائمة (نيويورك تايمز) من نصيب رواية (عارية أمامك) لسيلفيا داي .

أما على مستوى الأعمال غير الأدبية للكتب الأكثر مبيعاً للنسخ الورقية والإلكترونية في قائمة (نيويورك تايمز) للأسبوع الأخير، فجاءت كالتالي: احتفظ كتاب (البراري) لشيريل سترايد بالمركز الأول للأسبوع السادس على التوالي، كما احتفظ كتاب (بلا توقف) للورا هيلينبراند بالمركز الثاني للأسبوع الرابع على التوالي.

وحل كتاب (الهاوي) لادوارد كلاين ثالثاً، فيما جاء كتاب (خديعة) لبين ماكينتري رابعًا، ويقبع كتاب (اغتيال لينكولن) لبيل أوريلي ومارتين دوجارد في المركز الخامس والأخير لقائمة (نيويورك تايمز)

حضور عربي وإسلامي في ترشيحات جائزة الكتاب الألماني

بالرغم من أن أية رواية لكاتب ألماني من أصول عربية لم ترشح لجائزة الكتاب الألماني لهذه السنة، فإن قائمة الروايات المرشحة للفوز بهذه الجائزة الألمانية المهمة، تضمنت قصصاً كان للعرب والمسلمين حضوراً قوياً فيها.

ومثلما أفاد تقرير ل (الدويتش فيلا) فإنه منذ عام 2005 تقوم جمعية تجارة الكتب الألمانية وبالتعاون مع الناشرين الألمان وهيئات توزيع الكتب الألمانية سنوياً بمنح (جائزة الكتاب الألماني) في فرانكفورت.

وكما يوحي اسم هذه الجائزة، تقتصر هي على الروائيين الألمان، وبالفعل صدرت قائمة ترشيحات للعشرين رواية المحتمل فوزها للعام 2012، والغريب في الأمر أن عديد من هذه الروايات تناولت موضوعات تمس غير الألمان.

ففي معرض الحديث عن الموسيقى مثلاً، تم ترشيح قصة (الأصوات) لمايكل رويس، حيث رسم الكاتب حياة عزيز الشاب اليمني الذي تملكته الأنغام بعد أن صعقته السماء ليفقد بعد حين قدرته على السمع لكن ذلك لم يحده من تحقيق حلمه كملحن.

وفي رواية (رمال) لفولفجانج هرندورف تتحول إلى مفتشين ومحققين في قضية غامضة وقعت في الصحارى أيام عملية منظمة أيلول الأسود الفلسطينية عام 1972 في ميونيخ.

أما على الصعيد الرومانسي، فقد تم ترشيح رواية بودو كيرشهوف (الحب في قطارات حقيرة)، التي تتناول تصادم علاقة حب زوجية بعلاقة حب آنية جذابة في عالم لا محل فيه للحب الأبدي.

في حين تبرز أولغا غريبنسوفا في روايتها (الروسي محب البيتولا) واقع شباب اليوم الذي يكثر ترحاله وانفتاحه ليجد نفسه معدوم الوطن في نهاية الأمر، هي تتطرق إلى حياة فتاة أذربيجانية يهودية في ألمانيا دعتها الظروف للذهاب إلى إسرائيل: لتجد ذاتها وسط عوالم لا تنتمي إليها.